

ثورة الزنج (255-270 هـ / 869-883 م)

سلوى عبد الخالق على أحمد^(*)

الملخص

كانت ثورة الزنج التي استمرت أربعة عشر عاما (255-270 هـ / 869-883 م) من أخطر الثورات التي هددت الدولة العباسية. وقد لفت نظر الباحثة أن المؤرخين انصرفوا إلى تناولها من الناحية الحربية فحسب، بدون تناول منظم لطبيعتها ومبادئها، إلا من إشارات خاطفة متناثرة في مؤلفاتهم؛ لذا رأيت ضرورة تناول هذا الجانب.

وقد اشتملت للدراسة على تعريف بمبادئ ثورة الزنج وأهدافها، وأسهم العقائدية، وأحوالهم الاجتماعية والاقتصادية، وظروفهم وتنظيماتهم، وحاولت كشف غموض فترات كثيرة من حياتهم وحروبهم وأعمال زعيمهم.

* الأستاذ المساعد بكلية التربية جامعة المنصورة.

Negro Revolution (255-270)
Salwaa abd al kalek Ali Ahmed
Abstract

The Negro Revolution lasted for fourteen years during the Abbassid Dynasty. The Study examines the principles, aims, creeds, social and economic conditions and systems of the Negro Revolution

أحمد لله حمد الشاكرين، وصلاة وسلاما على سيدنا محمد الهادي الأمين، الذي بعثه الله رحمة للعالمين، وبعد،

يختلف العصر العباسي الثاني عن العصر الأول اختلافا كبيرا، ففي حين تميز العصر الأول بتولي الخلفاء الأقوياء الذين غلبت شخصيتهم شخصيات غيرهم في الدولة؛ ضعفت شخصية الخلفاء في العصر الثاني، وسلب نفوذهم الوزراء والأمراء من الترك الذين اعتمد عليهم الخلفاء اعتمادا كبيرا، حتى أصبح الخلفاء العوبة في أيديهم، وحفل هذا العصر بالثوار والثورات من كل جنس ومذهب. ومن أخطر الثورات ثورة الزنج التي هددت الخلافة أربعة عشر عاما (255-270هـ / 869 - 883 م)، والتي اهتم المؤرخون بالكتابة عنها من الناحية الحربية بين الزنج والعباسيين، بدون أن يحاولوا معرفة طبيعة الحركة ومبادئها وتنظيمات الدولة التي شكلها صاحب الزنج "علي بن محمد"، عدا بعض الإشارات الخاطفة المبعثرة.

وقد حاولت أن أقدم فكرة عن معظم جوانب هذه الثورة، بخاصة الغامضة منها التي أغفلها المؤرخون؛ فتحدثت عن تعريف الزنج، وأحوالهم الاجتماعية، والتعريف بصاحبهم وعقيدته، وطبيعة ثورتهم وأهدافها، وأسهم العقائدية، ثم وضحت الحروب التي خاضها صاحب الزنج، قبل حروبه مع الدولة العباسية، ووضحت جغرافية المنطقة التي يقيم بها الزنج، وأثرها في الحرب، وغاراتهم على البصرة، وعلاقة الزنج بالصفاريين، وحرب أحمد الموفق مع الزنج، وسقوط المختارة عاصمتهم، كما ذكرت تنظيماتهم الاقتصادية والإدارية.

تمهيد:

عرف الرق بوصفه مظهرا من مظاهر الحياة البشرية منذ أقدم العصور، وظل قائما معترفا به في كل المجتمعات الإنسانية القديمة والوسيط والحديثة. ولعل الحروب كانت سببا في قيامه؛ إذ كان القوى يلزم الضعيف بالعمل لمصلحته وحسابه؛ مثل ما حدث مع الزنج. وكلما اشتدت الحروب وكثر الأسرى ظهر سوق الرقيق، وأصبحت النخاسة مصدرا للربح الوفير⁽¹⁾.

أ- التعريف بصفات الزنج وموطنهم الأصلي:

أولا- صفات الزنج:

جيل من السودان يتميز بسواد الجلد وجعودة الشعر وغلظة الشفة وفطس الأنف، يسكن حول خط الاستواء، وتمتد بلادهم من المغرب إلى الحبشة، ويطلق عليهم الآن بعض السلالات المنحدرة من القبائل الأفريقية⁽²⁾.

ثانيا- الموطن الأصلي للزنج:

الزنج جماعات من العبيد السود الذين جلبوا بطرق متنوعة من أفريقيا الشرقية. وقد اختلف المؤرخون بشأن موطنهم الأصلي، فذكر بعضهم أنه الحبشة، وقال آخرون الصومال وزنجبار، ولكنهم يتفقون على أنهم من سواحل أفريقيا الشرقية. وقد استخدموا في أعمال كثيرة؛ من أهمها استصلاح أراضي السواد، برغم أن الإسلام دعا إلى حسن معاملتهم، وبشر من يعتقدهم بالثواب، وروى عن الرسول ﷺ: "شر الناس من باع الناس"، كما أطلق الفاروق عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) نداه المشهور: "متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا". غير أن الأمر تغير في القرن الثاني الهجري، وأصبح هؤلاء الزنج أقل أصناف العبيد احتراماً، على عكس الحبش الذين يعدون أكثر الأصناف منزلة. وبتنا نقرأ في الأمثال المتداولة: "الزنجي إن جاع سرق، وإن شبع زنا". ومما تجدر الإشارة إليه أن أرض بلاد الزنج، في رأى الجغرافيين المسلمين، تمتد من أعلى نهر النيل، حتى سفالة، قرب بيرا Beira الحالية، وهي أقصى بلاد الزنج⁽³⁾.

ب- أحوال الزنج الاجتماعية:

في الحقيقة كانت أحوال الزنج الاجتماعية سيئة جداً، خاصة بعد زيادة التجارة في الأرقاء، وكثرة الإقطاعات، وحاجة كثير من الملاك الإقطاعيين إلى عمال يعملون في حقولهم الزراعية واستصلاح الأراضي غير المستصلحة وزراعتها⁽⁴⁾.

وكانت أفريقيا الشرقية، خاصة أجزاءها الساحلية، خير مورد للنخاسين المسلمين، يحصلون منه على العبيد السود، كما ظلت قبلة تجار الرقيق الأوروبيين، حتى وقت قريب. وجلب تجار الرقيق المسلمون العبيد السود من ساحل أفريقيا الشرقي، وهي أرض الزنج التي أطلقها العرب على زنجبار أو زنبار، وجزء من المنطقة الواقعة قرب مدخل البحر الأحمر والحبشة، إضافة إلى مساحات أخرى في أفريقيا الداخلية. وكان هذا الساحل خاضعاً للنفوذ العربي منذ أقدم العصور، وكان الاعتقاد السائد أن ليس وراء بلاد الزنج زرع أو ضرع⁽⁵⁾.

وقد أسس العرب المسلمون منذ سنة 102هـ/720م مستعمرات إسلامية على ساحل أفريقيا الشرقية بين لامو Lamu ونهر أوفو Aufu، فلما أهل العصر العباسي، ونشطت الحركة التجارية على طول السواحل العربية للخليج الفارسي، قامت علاقات تجارية على طول السواحل العربية للخليج الفارسي، وتأسست نتيجة لهذه العلاقات مستوطنات عربية إسلامية جديدة على طول ساحل الصومال في لامو ومومباسا وزنبار وموزمبيق، بل وصل النفوذ الإسلامي في وقت متأخر إلى الزنبيزي، وقامت صلات تجارية مع مونوموتابا (روديسيا الحديثة)، ومن ثم قامت

تجارة الرقيق الإسلامية التي هدفت إلى الحصول على أكبر عدد من الزنوج البانتو، لتجهيز القصور بالخصيان، وتوفير الأيدي العاملة في الإقطاعات الزراعية⁽⁶⁾.

وكانت مركب المسلمين تقصد بلاد الزنج حتى تصل إلى الحبشة وجزيرة قنبلو في بحر الزنج، وإلى بلاد سفالة قرب Beira الحالية، وهي أقصى بلاد الزنج.

إن التطور الاقتصادي الذي شهده القرن الثالث الهجري، بانتقال الزراعة الضيقة إلى الواسعة، والتجارة الرباحة في العصر العباسي، أوجد نوعاً من الطبقة العنصرية، طبقة فقيرة جداً، وأخرى ثرية، وذلك زاد من سوء أحوالهم الاجتماعية. وقد عبر الجاحظ عن نظرة معاصريه إلى الزنج بقوله: "وقد علمنا أن الزنج أقصر الناس مدة ورؤية، وأذهلهم عن معرفة العاقبة، فلو كان سخاؤهم إنما هو لكلال حدهم، ونقص عقولهم، وقلة معرفتهم..."⁽⁷⁾.

كانت النظرة السائدة للزنج نظرة الازدراء والاحتقار. ولكي نقدر قيمة للزنج الاجتماعية نذكر على سبيل المثال أن أثمانهم كانت أقل بكثير من أثمان العبيد البيض، فثمان العبد في عُمان كان يتراوح بين 30 و35 ديناراً، في حين كان ثمن العبد الأبيض يصل إلى آلاف الدنانير.

وامتاز الزنج بالسذاجة والبساطة والشجاعة والجد والصبر على العمل الشاق، ولذلك نظم التجار الحملات لاصطيادهم من جهات أفريقيا الشرقية للعمل في الأراضي السبخة المحيطة بالبصرة، وامتازوا بطلاقة اللسان وفصاحة الكلام، غير أنهم عيروا بصغر عقولهم، وضعف ذكائهم، وقلة علمهم⁽⁸⁾.

وكان العمل الذي سخر فيه الزنج في المناطق الواقعة في القسم الأدنى من دجلة والفرات (منطقة المستنقعات التي تسمى البطيحة)، وهي بؤرة للأوبئة والأمراض، ومن ثم تعرض سكانها لأحوال صحية غاية في السوء⁽⁹⁾.

يقول المقدسي في وصف البطائح: "والبطائح نعوذ بالله منها، ومن شاهدها في الصيف رأى العجب... وشم بق له حقنة كالإبرة". ولا شك أن هذا البق كان عاملاً في نشر الملاريا، وإذا رجعنا إلى المراجع المعاصرة نجد أمثلة على ما كان يقاسيه الزنج في تلك المناطق الموبوءة، فقد أصيب على بن أبان من قواد الزنج بالملاريا في خلال الحرب (257هـ / 870م)، وفي سنة 258هـ / 871م "وقع وباء في الناس في كور دجلة، فهلك كثير في بغداد وسامراء وواسط وغيرها"⁽¹⁰⁾، وفي السنة نفسها أصاب جيش الزنج في البطيحة، وقتك بالجند، من جراء خوضهم المياه.

كان العمل الرئيسى الذى استخدم فيه الزنج هو إزالة الطبقة الملحية - السبخ - التى تغطى الأراضى، وإظهار التربة الخصبة الصالحة للزراعة، ونقل السبخ، وجعله فى أكوام أو تلال، للإفادة منه فى الوقت نفسه. وكانت جموع الزنج معروفة بالبصرة كالجبال، وكان فى أنهار البصرة منهم عشرات آلاف يعذبون بهذه الخدمة، وكان الزنج فى عملهم هذا معرضين لرقابة صارمة، وإهانات مستمرة، كانت كل عصابة من عصابات الزنج تعمل على بقعة معينة من الأرض، تستطيع أن تعدها إقطاعا لشخصية بارزة أو مالك كبير، وكانوا من ثم أقرب إلى عبيد الأرض الأفتان الذين عرفهم النظام الإقطاعى فى أوروبا فى العصور الوسطى، غير أنه إذا كان القن الأوربى يرتبط بسيد الإقطاعى بالتزامات معينة، وله حقوق خاصة؛ فإن العبيد الزنج جردوا من كل حق، وعدوا ملكا لسيدهم⁽¹¹⁾.

وعلى الرغم من أن الزنج كانوا يعملون فى هذه الظروف القاسية من عمل شاق ورقابة صارمة ومعاملة جائرة وحرمان متصل؛ فإن جزاءهم لم يكن معقولا على الإطلاق، بل لأنهم عبيد مملوكون، لم يكونوا يتقاضون أجرا على الإطلاق، إلا ما كان يوزع عليهم يوميا من الغذاء الزهيد المكون من شىء من الدقيق والتمر والسويقة. وهناك إشارات إلى ما كان يقاسيه العبيد من الجوع، على الرغم من ثروات أسيادهم الطائلة، فقد كان زبيدة بن حميد يضرب غلمانهم الجياع، ذلك الذى قدرت ثروته بمائة ألف دينار فى القرن الثالث الهجرى، وقد عبر رئيس الغلمان عن حالتهم بقوله: "إننا نسمع بالشعب سماعا من أفواه الناس". لقد كان السادة أذكىاء حقا؛ فأنهم اختاروا لعبيدهم أرخص أنواع الطعام وأشدّها إملاء للمعدة فى وقت معا، فعلى سبيل المثال: التمر، فإذا علمنا أنه كان ومازال من الأغذية المتوافرة فى منطقة البصرة، وأنه لا يكلف نفودا بوصفه إنتاجا محليا زائدا عن حاجة الاستهلاك المحلى والخارجى معا، كذلك السويقة الذى كان يصنع من طحين الحنطة أو الشعير المحمص المخلوط بالتمر، كان وجبة غير جيدة وغير كافية، مازالت معروفة شائعة بين السود فى البصرة حتى يومنا هذا، وأظنهم ورثوها عن أسلافهم⁽¹²⁾.

لقد اهتم على بن محمد (صاحب الزنج) ما كان يقاسيه الزنج من انخفاض مستوى المعيشة اهتماما كبيرا، وجعله الوتر الحساس الذى أخذ يضرب عليه ببراعة، فيستجيب له العبيد. ومن ثم نجد صاحب الزنج يسأل أحد الغلمان المكلفين بحمل المؤن إلى العبيد "عن أخبار غلمان الشورجيين، وما يجرى لكل غلام منهم من الدقيق والسويقة والتمر"⁽¹³⁾.

ولعل أكبر برهان على سوء أحوال الزنج الاجتماعية إقبالهم على أول من

دعاهم إلى الثورة إقبالا منقطع النظير، وقد امتلأ بالسرور والحماسة حين بذل لهم الوعود المغرية، وأخبرهم أنه لم يخرج لعرض من أعراض الدنيا، "وما خرج إلا غضبا لله، ولما رأى عليه الناس من الفساد في الدين".

ثم أفضى إليهم ببرنامجه الضخم في هذه العبارة التي اقتبسها المؤرخون من خطبته فيهم يوم عيد الفطر (255هـ/869م): أنه كان يريد أن يرفع قدرهم، ويملكهم العبيد والأموال والمنازل، ويبلغ بهم أعلى الأحوال، وهل كان يطمع هؤلاء المنكوبون بأكثر من هذه المغريات⁽¹⁴⁾؟!؟

ج- أصناف الثوار من الزنج:

لفظة "الزنج" أطلقت على أصناف مختلفة من العبيد السود الذين كانوا عامة الثوار في حركة علي بن محمد. وقد اختلف هؤلاء الثوار أو هذه الطوائف في طبيعة العمل الذي يقوم به كل منها، ويتضح ذلك فيما يأتي:

أولاً- غلمان الشورجيين (أو الشورجية): مشتقة من "شورة"، وهي تعنى الملح، ويطلق لفظ الشورجيين على جماعة من أصحاب العمل، كانوا يجمعون الشورج لينتفعوا به، مستخدمين أعدادا ضخمة من العبيد هم الذين تدعوهم المراجع "غلمان الشورجيين". ويبدو أن عدد غلمان الشورجيين هؤلاء كان ضخما، واشتهر من كبار الشورجيين رجل يدعى العطار، وكان هؤلاء العمال يجمعون الشورج (أو الملح أو السباح)، فيجعلونه في أكوام كبيرة مستخدمين البغال في حمله. ويبدو أن العمل كان شاقا لأن المعاصرين وصفوا أكوام السباح التي كسحها الزنج بأنها كانت كالجبال وأن عشرات الألوف من العبيد كانوا يقومون بهذا المجهود في مناطق البصرة.

ثانياً- القرماطيون: وهم جنس من أجناس السودان الكثيرة، وكانوا - على حد قول المقدسي - يتعاملون في بلادهم بالملح، ويستطرد هذا الجغرافي العربي في وصف بلادهم قائلا: "وأما أرض السودان، فإنها تتأخم هذا الإقليم [المغرب] ومصر من قبل الجنوب، وهي بلدان مقفرة واسعة شاقة، وهم أجناس كثيرة... أما القرماطيون فتعاملهم بالملح، والنوبة والحش بالثياب". وكان القرماطيون (وهم طائفة من الزنج) يعملون بالشورج كذلك، واشتهر منهم راشد القرمطي الذي كان له دور بارز في ثورة الزنج.

ثالثاً- الفراتية: وهم - كما يدل اللفظ - الزنج الذين سكنوا في منطقة فرات البصرة. ويعرف ياقوت فرات البصرة بأنه "كورة بهمن بن أردشير، وهي كورة واسعة بين واسط والبصرة". وقد فتح هذه الكورة عتبة بن غزوان أيام عمر بن الخطاب في أثناء فتوحه للبصرة. ومن الجدير بالذكر أن صاحب الزنج ظهر أول

ما ظهر فى فرات البصرة، حيث يعمل عشرات الآلاف من العبيد وأنصاف الأحرار.

رابعاً- النوبة: هم العبيد الذين جلبوا من بلاد النوبة، وكانوا هم والفرايتية من أخطر قوات صاحب الزنج، وكانوا يتكلمون العربية.

خامساً- الزوج الأنقياء: هؤلاء كانوا زنوجاً أنقياء يجهلون العربية، لذلك كان صاحب الزنج يستخدم مترجمين للتفاهم معهم. وأغلب الظن أن هؤلاء كانوا حديثي عهد بالرق، ولم تمر عليهم مدة طويلة تتيح لهم تعلم العربية.

سادساً- جماعات تعمل لحساب التمارين والدياسين: مما هو جدير بالذكر أن التمر ومنتجاتها - كالدبس - كانت ومازالت خاصية أساسية من خصائص الحياة الاقتصادية فى البصرة، ومن ثم اعتمد الملاك على التمر اعتماداً كبيراً بوصفها مورداً هائلاً من مواردهم، وشغلوا العبيد فى أعمال التمر واستخراج الدبس⁽¹⁵⁾.

لم يكن الزنج على درجة عالية من الثقافة، بل كان أغلبهم جهلاء، لا يُحسنون حتى النطق بالعربية؛ ذلك أن ظروفهم الاجتماعية وأعمالهم فى الخلاء حرمتهم من فرصة تعلم هذه اللغة وعلومها، على الرغم من أن الزنجى الشرقى سرعان ما يهجر لغته الأصلية ويتعلق بلغة سيده؛ لذلك استعان صاحب الزنج بمترجمين ينقلون خطبه وأقواله إلى أتباعه منهم⁽¹⁶⁾.

وحين ألقى خطبته فيهم يوم عيد الفطر (255هـ/ 868م) "أمر الذين فهموا عنه أن يفهموا من لا فهم له من عجمهم لتطيب بذلك أنفسهم...". ومن المترجمين الذين اعتمد عليهم صاحب الزنج فى هذه المهمة رجل يدعى مصلحاً، وقد دعاه ذات يوم، فميز الزنج الأنقياء من الفرايتية، ثم أمره أن يُعلمهم بأنه لن يردهم إلى أسيادهم ومواليهم مهما كلفه الأمر. غير أن فريقاً آخر من الزنج كانوا على درجة ضئيلة من المعرفة باللغة العربية والدين الإسلامى، وهم الفرايتيون والقرمطيون والنوبة، لذلك كان على بن محمد يتصل بهم رأساً بدون حاجة إلى مترجمين⁽¹⁷⁾. وهؤلاء، خاصة النوبة، كانوا فى الأصل من سكان الأفطار الأفريقية الشمالية المجاورة لمصر. غير أنه على الرغم من انخفاض المستوى الفكرى للزنج؛ فإن الدعايات الدينية والاجتماعية التى زخر بها القرن الثالث من ناحية، واتصالهم بالدين الإسلامى الذى يعتنقه أسيادهم من ناحية أخرى، كل ذلك أقنعهم بحقهم فى التمتع بالعدالة الاجتماعية التى نادى بها الإسلام. ومهما يكن من أمر فإن سوء أحوال الزنج الاجتماعية كان كافياً لإثارتهم وجذبهم نحو أية حركة، بمجرد أن تؤكد هذه الحركة أنها ستضمن لهم تحسين أوضاعهم. والمسألة فى الواقع ليست مسألة ثقافية، وإنما هى مسألة وعى قد يأتى عن طريق الإثارة فى الواقع والإيماء

بمجهود جد بسيط. والواقع أن صاحب الزنج لم يجهد نفسه في وضع برنامج شامل دقيق، وكل ما فعله هو أنه وعد العبيد البؤساء بوضع حد لبؤسهم، ورفعهم إلى مستوى اجتماعي أعلى⁽¹⁸⁾.

صاحب الزنج وعقيدته:

أ- صاحب الزنج:

هو اللقب الذي أطلقه المؤرخون على عليّ بن محمد الذي ظهر في فترات البصرة سنة 255هـ / 869م، فقاد الزنج في ثورتهم الكبرى التي دامت نحو أربع عشرة سنة (255-270هـ / 869-883م). وفي الكلام على نسب عليّ بن محمد يجد الباحث صعوبات جمة، فهناك من يزعم أنه فارسي، بل يؤكد فارسيته، وهناك من يرد نسبه إلى أصل عربي، على أننا نجد فريقاً آخر يسكت عن نسبه، فلا يثبت هذا أو ذاك⁽¹⁹⁾.

أما الرجل نفسه فقد زعم أنه عليّ بن محمد بن أحمد بن عليّ عيسى بن زيد ابن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، غير أن هذا النسب الذي ادعاه لنفسه ما لبث أن غيره وبذله بعد حين، فنسب نفسه إلى يحيى بن زيد بن علي، بعد إخراجهم من البصرة.

ويقول ابن أبي الحديد: إن صاحبنا غيّر نسبه تبعاً للظروف فانتقل من أحمد ابن زيد، إلى أحمد بن محمد بن زيد، ثم إلى يحيى بن زيد بن علي، وحين شُخص إلى البحرين (249هـ / 863م) ادعى أنه عليّ بن محمد بن الفضل بن حسن بن عبيد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب⁽²⁰⁾.

ولد علي بن محمد في قرية كبيرة تدعى وزنيين، من قرى الري، وبها كانت نشأته، وهي قرية لا تبعد كثيراً عن طهران الحديثة، وكان جده لأمه - علي حد قوله - من أهل الكوفة، ومن الخارجين على الخلافة الأموية، مع زيد بن علي، وقد أقام هذا الجد في الري بعد مقتل زيد. أما جده لأبيه فقد ولد بالطالقان، من نواحي خراسان، ثم نزع إلى العراق، حيث وُلد محمد أبو صاحب الزنج من جارتة سندية. وكان صاحب الزنج من غمار العامة، ومن سواد الناس الذين أهملهم المؤرخون، ولم يعنوا بتدوين نشأتهم، فهو فقير الحال جداً، ومن سواد الناس الذين ليس له أي نصيب من الجاه والغنى، بل على العكس، كان معوزاً فقيراً، وهي ناحية مهمة في حياته؛ لأنه قاسى ما قاساه العامة الذين كانوا يعيشون في العاصمة على هامش الحياة⁽²¹⁾.

وكان علي بن محمد في هذه الفترة من حياته ينظم الشعر ويتخذ وسيلة

للعيش، فيمدح به أصحاب السلطان وكتابه ويستميحهم، وقد حفظت لنا بعض المراجع نماذج طيبة من شعره، كما اتخذ صاحبنا إلى جانب قرص الشعر حرفة تعليم الصبيان بسامراء، فكان يعلمهم الخط والنحو وعلم النجوم والسحر والاصطرلاب⁽²²⁾.

رحل على بن محمد من سامراء سنة 249هـ/863م، إلى البحرين متأثراً بما شهد وسمع في عاصمة الخلافة من فوضى واضطرابات أشد التأثير، غير أنه أدرك أن هذه المدينة لم تكن مركزاً صالحاً لأى عصيان ضد الخلافة، بسبب الرقابة الشديدة والجاسوسية المحكمة، ووجود السلطة المركزية. لذلك اختار البحرين، لبعدها عن مركز الدولة من ناحية، ولأن رابطة من النسب والقرابة تربطه بهذا الصقع من ناحية أخرى، وربما لسبب أن البحرين كانت بيئة صالحة لنشر الدعايات الاجتماعية والدينية.

وفى البحرين ادعى أنه من آل على، ودعا الناس بهجر إلى الانضمام إليه، وقد تبعه جماعة من أهل هجر، ورفضت دعوته جماعة أخرى، وقامت بين الفئتين فتنة سفكت فيها الدماء، وأزهقت الأرواح⁽²³⁾.

وبعد أن بذر على بن محمد بذور حركته في الجهات السابق ذكرها، رحل إلى البادية، حيث حاول أن يجذب إلى صفه الأعراب، وهناك أحاط نفسه بهالة من القدسية، فادعى أنه أوتى الغيب، وأنه يستطيع إتيان الخوارق، بل ذكر المؤرخون أنه انتحل قرآناً خاصاً به، وأن سوراً منه كانت تجرى على لسانه كأنها من فعل وحى سماوى. ولما علم أن البادية لم تكن بالبيئة الصالحة لنشر دعوته، لما تميز به البدو من النزعة الفردية، وعدم انقيادهم لمثل هذه الدعوات الروحية الغامضة؛ قرر أن يرحل إلى البصرة، وهى يومئذ مدينة كبيرة أهلة بالسكان، تصطرع فيها الأفكار والنزعات الدينية، ويتضح فى تكوينها الاجتماعى التصادم الذى أوضحناه سابقاً.

قدم على بن محمد البصرة سنة 254هـ/868م، وكان عاملها يومئذ محمد ابن رجاء الحضارى، وصادف قيام فتنة بين الفرقتين الكبيرتين البلالية والسعدية، فطمع أن يستميل إليه إحدى الفرقتين، وحاول أن يبدأ دعوته فى مسجد البصرة، غير أنه أخفق، وطارده جند الخلافة، فلاذ بالفرار إلى بغداد، غير أن الوالى قبض على أتباعه، وعلى زوجه وابنه وابنته وجارية له، لكن الذى أفاده من هذه المغامرة أنه مهد لحركته، وبذر بذورها، واطلع على أحوال البصرة السياسية والاجتماعية، كما كسب بعض الأعوان المخلصين؛ أمثال على بن أبان المهلبى، من ولد المهلب بن أبى صفرة، وأخويه محمد والخليل، ومن هنا تبدأ حياته المليئة بالمغامرة والنشاط، فبعد هربه من البصرة، قبض عليه عامل واسط، لكنه استطاع أن يفلت بالحيلة، ويشخص

إلى بغداد، حيث أقام عاما ينتسب إلى أحمد بن عيسى بن زيد.

ظل على بن محمد في بغداد ينتظر الفرص المواتية، ويرقب الأحوال بحذر، ويتنسم أخبار البصرة حيث أهله وأعوانه. كما أنه لم يقف مكتوف اليدين، بل أخذ يدعو لنفسه، ويجمع حوله أعوانه الجدد، وما أن انتهى العام الذي قضاه في بغداد، حتى وردت الأخبار تنبئ بعزل محمد بن رجاء عدوه اللدود، وقيام ثورة جديدة بين البلالية والسعدية، وقد فتحت السجون، وخرج أهله وأصحابه، فعاد إلى البصرة في رمضان سنة 255هـ/ 869 م⁽²⁴⁾.

أقام صاحب الزنج في موضع بين مدينة الفتح وكرخ البصرة، في مكان يعرف بقصر القرشي، على نهر عمود، بين المنجم الذي احتقره بنو المنجم، وادعى أنه وكيل (لولد الخليفة الواصل) في بيع ما يملكونه من السباخ، وأمر أصحابه أن يتظاهروا بذلك أيضا. ووضح أنه كان يهدف إلى الاتصال بالزنج المشتغلين بكسح السباخ، ويدرس أحوالهم، ويقوى علاقاته بهم؛ بدليل أنه أخذ يسأل عن ظروف عملهم وغذائهم، كما أخذ من ناحية أخرى يتحرى أخبار البصرة وأنباء النزاع بين البلالية والسعدية، وابتداء من هذا التاريخ أخذ الزنج يجتمعون حول على بن محمد، ويعد يوم الإثنين 26 رمضان سنة 255هـ/ 6 أيلول 869 م يوم قيامه بالثورة⁽²⁵⁾.

يدل مسلك على بن محمد على أنه كان ذكيا قوى الإرادة طموحا ذا نفس وثابة ونازعة نحو الآمال لدى الكبار، وكان صبورا هادئ التفكير، يحسب لكل حركة حسابها، ويضع كل أمر في موضعه، وقد أدرك القوة التي تكمن في العبيد السود، واستطاع أن ينقلها إلى مجال العمل، كما أنه نمى في هؤلاء شعورهم بالاضطهاد، فانفجر في حركة عنيفة أرعبت الدولة العباسية، وتطلبت وقتا طويلا لكبحها، وجهودا جبارة للقضاء عليها مدى أربع عشرة سنة.

وكان على بن محمد رجلا مثقفا بمفهوم عصره، فقد كان خطيبا وشاعرا؛ بدليل أنه كان ينظم الشعر ليتعيش منه. ويقول أبو بكر الصولي: إن له شعرا حسنا مطبوعا⁽²⁶⁾.

ويروى ابن أبي الحديد أنه كان يعلم الصبيان الخط والنحو وعلم النجوم والسحر والاصطرلاب، وهى علوم عصره. وقد عبر الشاعر يحيى بن محمد الأسلمى - إثر هزيمة الزنج - عن اعتماد على بن محمد على النتائج بقوله:

أين نجوم الكاذب المارق ما كان بالطب ولا الحاذق

وتبدو في مقطوعة أخرى نسبت له نزعة شيعية واضحة، فهو يعتب على العباسيين - أبناء عمومته - ويدعوهم إلى الكف عن اضطهاد العلويين، ويعيب

عليهم تقديمهم الأثر ك، وتوليتهم شئون الحكم:

بنى عمنا، لا توقدوا نار فتنة بطيء على مر الليالي خمودها
بنى عمنا، أنا وأنتم أنامل قضمته من راحتها عقودها
بنى عمنا، وليتم الترك أمرنا بدينا وأعقابا ونحن شهودها
فأقسم لا ذقت القراح وإن أذق ببلغة عيش أو يبار عميدها⁽²⁷⁾

هل كان صاحب الزنج قد خرج على الدولة العباسية متألماً مما آلت إليه الأمور من الفساد، وأنه كان يريد أن ينشر العدل، ويحقق العدالة الاجتماعية، أو أنه كما زعم المؤرخون، كان طموحاً نزوعاً إلى المجد! لقد عرضت له فرص عدة، كان يستطيع أن يثرى عن طريقها، لكنه عزف عنها، فقد روى المؤرخون أن رميساً أحد قواد العباسيين أرسل صاحب الزنج يمنحه الأمان، وخمسة دنانير عن كل رأس من العبيد الذين معه إذا ردهم إلى مواليتهم لكنه رفض الطلب باباء⁽²⁸⁾.

على أننا نستطيع أن نبرئ صاحب الزنج وأتباعه مما ارتكبوه من أعمال القسوة التي نسبها إليهم المؤرخون، فما من شك أنهم دمروا المدن، ونهبوا القرى، وقتلوا الرجال، وسبوا النساء، واسترقوهم، غير أن هذه الأعمال يبررها أمران:

الأمر الأول: أن الزنج كانوا في حالة حرب سافرة، وقد وقفت الدولة وملاك الأراضي وأهل المدن ضدهم، وحاربوهم بكل قواهم، فكان لا بد أن يلجأ الزنج إلى كل وسيلة تتيج لهم أن ينتقموا من أعدائهم، ويضعفوا من قوتهم.

الأمر الثاني: أن روح العصر تبرر ما كان يجرى من أعمال القسوة والعنف في الحروب، وما أظن أحداً يستطيع الادعاء بأن النزعات الإنسانية كانت ذات وجود في أية حروب أو ثورات شهدت العصور الوسطى، سواء كان ذلك في الشرق أو في الغرب. لقد كانت أعمال القسوة والتعذيب والتشهير والتمثيل تجري في المعسكرين: معسكر الزنج، ومعسكر العباسيين، غير أن هناك كثيراً من الشواهد تدلل على أن صاحب الزنج كان يقصد بها أعداءه وحدهم، وأنه طالما وقف موقفاً نبيلاً من الأبرياء والمحايدين؛ كما فعل في قريتي القادسية والجعفرية.

ب- عقيدة صاحب الزنج:

دعا إلى آراء أقرب ما تكون إلى آراء الخوارج. ويمكن القول إن انتحاله النسب العلوي كان يهدف منه إكسابه عطف عامة الناس إليه، وكان يرى رأى الأزارقة من الخوارج؛ لأن أفعاله في قتل النساء والأطفال والشيوخ وغيرهم ممن لا يحق قتله يشهد بذلك، خطبة له يقول: "قى أولها: الله أكبر الله أكبر، ولا إله إلا الله، والله أكبر، لا حكم إلا لله". وكان يرى أن الذنوب كلها شرك، وهو مبدأ رئيسي

من مبادئ الخوارج، ويقول الطبري: إن صاحب الزنج ابتاع قطعة من الحرير كتب عليها هذه الآية: "إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَا عَلَيْهِمْ حَقٌّ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِيُبْعِثُكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ". وتدل هذه الآية التي نقشها صاحب الزنج على لوائه على أن ساعة القضاء على الظلم قد أزفت، وأن المؤمنين باعوا أنفسهم، ولم يعودوا بعد عرضة للرق، وهذا أقرب دليل على اعتناق صاحب الزنج عقيدة الخوارج⁽²⁹⁾.

ثورة الزنج طبيعتها وأسسها العقائدية:

أ- طبيعة ثورة الزنج:

ادعى صاحب الزنج النسب العلوي، كما أسلفنا، ليضفي على نفسه طابعا روحيا، ويكسب حركته سنداً شرعياً؛ ذلك أن الناس اعتقدوا آنذاك أن تغيير النظم القائمة لن يتم إلا على يد علوية، تتصل بأهل البيت، وبهذا النسب يستطيع على بن محمد أن يجذب إليه العامة، ويجمع حوله الأنصار. ويمكن القول إن النصف الثاني من القرن الثالث شهد أوج انتشار الدعوة الشيعية ورواجها؛ لأن الصفاريين كانوا يلعبون دوراً كبيراً في تقوية المذهب الشيعي في بلاد فارس، وفي الوقت الذي راجت فيه الدعاية الإسماعيلية ونشط القرامطة ينشرون مبادئهم المتطرفة في صفوف العامة تحت رداء من العقائد الشيعية، كل ذلك طبع أذهان الناس باعتقاد مؤداه أن الإصلاح المنشود سيتم على أيدي العلويين ماداموا حملوا لواء المعارضة ضد الدولة ردحا طويلاً من الزمن. فإذا فهمنا هذه الحقيقة؛ أدركنا لم استند صاحب الزنج إلى أسس روحية من هذا النمط⁽³⁰⁾.

ولم تكن حركة الزنج الحركة الوحيدة التي استندت إلى ادعاءات دينية في التاريخ الإسلامي، بل يصح القول إن جميع الحركات الاجتماعية التي سبقتها وتلتها اتخذت الدين شعاراً لها يحجب أهدافها الاجتماعية. وثمة حقيقة كبرى في التاريخ الإسلامي الوسيط، هي أن الدين لم ينفصل عن السياسة، بل ظلاً يسيران جنباً إلى جنب؛ ذلك أن الخليفة كان يجمع في يديه السلطتين الروحية والزمنية، على العكس مما نجده في الغرب، إبان العصور الوسطى؛ إذ كانت السلطة الروحية في يد البابا، وكانت السلطة الزمنية في يد الإمبراطور. ومن هنا لا يستطيع الباحث في تاريخ المجتمع الإسلامي أن يفصل ما هو ديني عما هو دنيوي. وهذا هو السر في أن الخليفة بقي يتمتع بمكانة عظيمة في قلوب المسلمين حتى يوم اشتط الخلفاء في انحرافهم عن جادة الدين وعن الأخلاق القويمة؛ لأنه على الرغم من ذلك، عدُ منفذ الشريعة الإسلامية، وممثلاً للرسول، ومفسراً للقرآن والسنة.

إن هذه الحقيقة أدت إلى نتيجتين مهمتين:

الأولى: أن كل حركة قامت في التاريخ الإسلامى، مهما كان نصيبها من الحق، وُصفت بأنها حركة زيف وزندقة وخروج عن الدين والدولة.

الأخرى: أن أية حركة لم يكن لها قدر من النجاح تستند إلى حجة دينية شرعية تبررها⁽³¹⁾.

إن الحركات التى تشابه ثورة الزنج فى الدافع والهدف والطبيعة العامة كثيرة، لا حصر لها، ففي العصر الأموى استطاع المختار الثقفى أن يستغل فرصة الاضطراب، فاكسب نجاحا ملحوظا بموجب الادعاءات الدينية، مستندا إلى تأييد الطبقات العامة، بخاصة الموالى فى الكوفة؛ إذ بلغ التشيع أقصاه، وكان السادة العرب ينظرون إلى هؤلاء بشيء كثير من الازدراء، ولم يرضوا أن يشاركوهم ثمار ما يفتحونه من البلدان. وإذا شئنا الاستطراد، وجدنا ثورة أخرى فى عهد ولاية الحجاج بن يوسف الثقفى على البصرة، وكانوا هذه المرة أكثر تنظيما، واتخذوا من بينهم زعيما يدعى رباحا، ولقبوه شيرزنجى؛ أى أسد الزنج⁽³²⁾. وكذلك ثورة الحارث بن سريج فى خراسان، كانت من ذات الطابع، فقد استغل هذا الرجل الورع تدمير الطبقات العامة، فأشعل نار ثورة عنيفة فى السنوات الأخيرة من الحكم الأموى، وطبع حركته بطابع روحى كالعادة، فزعم أنه المهدي المنتظر الذى هبأه الله ليملا الأرض عدلا، بعد أن ملئت جورا، ونادى بضرورة الرجوع إلى القرآن والسنة، وانتخاب حكومة يرضى عنها أغلب المسلمين. وإذا حاول الباحث أن يحصى الثورات التى قامت ضد الأمويين والعباسيين، سيجد أنها كانت كثيرة جدا، مع العلم أنها ازدادت شدة وعنفا منذ منتصف القرن الثالث الهجرى.

فالخاصية الأولى فى ثورة الزنج أنها دعت إلى تحسين أحوال العبيد ومعاملتهم كما أمر الرسول - صلى الله عليه وسلم - بالرفق والحسنى والعمل على تحريرهم بأية وسيلة. وكانت أهداف صاحب الزنج التى أعلنها بوضوح هى:

- 1- تحرير الرقيق من العبودية، وتحويلهم إلى سادة أنفسهم.
- 2- إعطاؤهم حق امتلاك الأموال والضياع (بل مناهم بامتلاك سادة الأمس الذين كانوا يسترقونهم).
- 3- ضمان المساواة التامة لهم فى ثورته التى تعمل من أجل نظام اجتماعى هو أقرب النظم الاجتماعية التى يتكافل فيها ويتضامن جموع الأمة.
- 4- نظام سياسى يرفض الخلافة الوراثية لبنى العباس التى أصبحت أسيرة فى يد

إذ أدرك أنه كى يلاقى النجاح فى حركته؛ يجب أن يستند إلى مبدأ شرعى مقبول، ومن ثم نادى بتطبيق التعاليم الإسلامية، وقد عبر عن هذه الحقيقة حين خاطب أسياذ العبيد قائلا: "قد أردت ضرب أعناقكم لما كنتم تأتون إلى هؤلاء الغلمان؛ يعنى الزنج الذين استضعفتموهم وقهرتموهم وفعلتم بهم ما حرم الله عليكم أن تفعلوه بهم، وجعلتم عليهم ما لا يطيقون" (34).

لقد درس صاحب الزنج التجسيم، وما يتصل به من التنبؤ والسحر؛ لأن العامة آنذاك (وكذلك اليوم) يؤمنون أشد الإيمان بهذه التصورات، ويعتقدون أن المرء يستطيع أن يكشف عن الغيب بهذه الطرق الغيبية، وأن للنجوم أشد الأثر فى مصائر البشر، وهكذا ادعى صاحب الزنج أن جميع تصرفاته من حل وترحال وغزو إنما كانت تلبية لهاتف خفى أو وحى سماوى، فقد كان يتنبأ بخسوف القمر، فيصدقه أتباعه. ويرى المؤرخون أنه كان يزعم لأصحابه بأنه يعرف ما فى الغيب، وأن الملائكة كانت تتصره، وتشد أزره، وقد زعم مرة أنه رأى فى إحدى مواقع طيوراً بيضاء تحارب أعداءه، وهكذا تشبه صاحب الزنج - إن صح ما قاله عنه المؤرخون - بالأنبياء؛ لكى يضى على نفسه طابعاً روحياً جذاباً (35).

وقد روى ابن أبى الحديد أن أهل البحرين أحلوا صاحب الزنج من أنفسهم محل النبى، حتى جى له الخراج هناك، ويقال كذلك إن يهودياً خبيراً أيد ذلك عندما جاء صاحب الزنج يوماً، فقبل يده، وسجد له، ثم سأله مسائل كثيرة، فأجابها، فزعم هذا اليهودى أنه يجد صفته؛ أى صفة صاحب الزنج فى التوراة، بعد أن تبين علامات خاصة فى بدنه، ولا يبعد أن يكون مجرد تهمة التصقت بصاحب الزنج (36).

فمعنى ذلك أن علياً بن محمد قلداً الأنبياء فى كل شىء، واستند إلى المرويات من الإسرائيليات التى طالما لقيت رواجاً فى البيئة الإسلامية. ويتهمه ابن الجوزى بأنه انتحل النبوة والرسالة، وادعى الغيب، على حين ينفى الطبرى صفة النبوة عنه، ومن ثم اكتفى بالإمامة؛ لأنها على حد قوله أخف حملاً وأقل عبثاً.

مما سبق يتضح أن ثورة الزنج هى ثورة العبيد الأفريقيين فى البصرة، وما حولها ضد أسياذهم، وهذه الثورة ذات طرافة كبيرة من ناحية طابعها، وذات أهمية تاريخية بالنسبة إلى تأثيرها فى تاريخ ذلك العصر. أجل لقد كانت ثورة الزنج مجرد حلقة فى هذه السلسلة المتصلة من الحركات التى عبرت عن القلق الاجتماعى من ناحية، وعن عدم صلاحية النظم القائمة من ناحية ثانية، وعن دخول المجتمع الإسلامى مرحلة جديدة من التطور الاقتصادى والاجتماعى من

كانت ثورة الزنج حرباً اجتماعية ذات طابع طبقي؛ أى أنها ثورة العبيد، وأنصاف العبيد ضد الملاك من أصحاب الأراضي، وهى على غرار ما شهدته روما من ثورات الرقيق فى القرنين الثانى والأول قبل الميلاد، وعلى غرار ما نجده فى التاريخ الحديث من حركة الطبقات المضطهدة ضد مضطهديها، بل ما زلنا نجد اليوم حركات مماثلة أينما قام استغلال للجنس البشرى على أساس غير مشروع⁽³⁸⁾.

ويعتقد بعض الباحثين أن ثورة الزنج كانت حرباً بين الجنسين: الأسود والأبيض. وأغلب الظن أنها كانت حرباً بين طبقة العبيد وأنصاف العبيد والفلاحين والأعراب الساخطين على النظام القائم من جهة، ومالكي الأرض أسياد العبيد من جهة أخرى. ويؤيد هذا رأى أننا نجد فى جيش الزنج جماعات كبيرة من غير السود؛ كالأعراب وأهل القرى والعمال وأصحاب الحرف⁽³⁹⁾.

نجد ذلك فى الخطبة التى ألقاها على بن محمد أمام العبيد يوم عيد الفطر سنة 255هـ/ 869م، ووضح الأصول التى استند إليها برنامج حركته، والأهداف التى رمى إلى تحقيقها، فقد ذكر ما كان عليه الزنج من الأحوال الاجتماعية السيئة، وبشرهم بأنه الرسول الذى هياه الله لإنقاذهم، ووعدهم بأنه كان يريد أن يرفع أقدارهم. والواضح من هذه الخطبة أنه لم يقصد إلى هدم العبودية كلية، بل إلى تحرير الزنج أنفسهم فحسب.

ولعلنا نستطيع أن نجد كل العذر لصاحب الزنج إذا تذكرنا أنه كان فى حالة حرب مع طبقات المجتمع الأخرى من غير العبيد، وأنه أينما التقت، وجد أعداء له ولحركته، فلم يجد بداً من استرقاق أعدائه ليأمن شرهم، ويضعف همتهم، ويظهر بمظهر القوة والغلبة أمامهم⁽⁴⁰⁾.

ويكفى أن نذكر أن الثورة الفرنسية، وهى التى قامت على مبادئ الإخاء والحرية والمساواة، صاحبها كثير من الإرهاب وسفك الدماء والتككيل بالأعداء بشكل أو بآخر، وهؤلاء يبيحون استرقاق أعدائهم من المسلمين وقتل أطفالهم ونسائهم بوصفهم كفاراً مارقين⁽⁴¹⁾.

ومهما يكن من أمر، فلا نملك إلا أن نعترف بأن حركة الزنج كانت محدودة لا تتطوى على برنامج اجتماعى شامل، وأنها كما تدل خطبة صاحب الزنج لم تهدف إلى إلغاء العبودية، كما أنها لم تحاول إنشاء فرع من الاشتراكية، أو المزدكية التى دعت إلى إحقاق المساواة بين الناس، وعد الأموال ملكاً مشاعاً بينهم، ولم تكن

تدعو إلى مثل هذا أو إلى شيء منه، بل كانت رد فعل لما قاساه العبيد من الاضطهاد الاجتماعي، ومن هنا كانت الثورة موجهة في بدايتها ضد ملاك الأراضي وملاك العبيد، لذلك وقف هؤلاء الملاك في وجهها، وقاوموها أشد المقاومة، ولم تتدخل الدولة أول الأمر لقمعها، بل تركت أهل البصرة أنفسهم يعالجون الموقف، حتى إذا ما يئس هؤلاء في صد تيار الزنج العنيف كتبوا إلى الخليفة يطلبون منه التدخل، وعندها فقط أرسل قائده جعلان التركي على رأس جيش نظامي⁽⁴²⁾.

لقد انطوت ثورة الزنج على خسارة كبيرة لملاك الأراضي وأصحاب العبيد؛ لأن ربحهم وكيانهم المادي إنما كانا يقومان على تسخير أعداد العبيد الضخمة في الزراعة وإصلاح الأراضي بإزالة الطبقة الملحية عنها، وذلك بدون مقابل يذكر. ومن هنا اتسمت الحرب بين الزنج والملاك بالحدق والعنف، واستمرت بدون هوادة مدة أربع عشرة سنة. إن استمرار حركة الزنج طوال هذه المدة أثر تأثيراً سيئاً في اقتصاد العراق الأدنى. لقد استطاع الزنج أن يحتلوا بين عامي 255-256هـ / 869-870م مدناً مهمة كالأبلة وعبادان وجبى، وفرضوا سلطانهم على مصب نهر دجلة، واستولوا على مساحات زراعية شاسعة. وكلما أعاد قواد العباسيين هذه المواصلات، قطعها الزنج من جديد، حتى إن السفن النهرية لم تستطع السير في شط العرب مدة عشر سنوات 255-265هـ / 869-878م⁽⁴³⁾.

لقد كانت ثورة الزنج أول حركة تمخض عنها الوضع الاجتماعي الجديد في القرن الثالث الهجري، ويبدو أنها كانت الشرارة التي أشعلت نار الأفكار الكامنة، فلم تلبث السنوات القادمة أن شهدت حركات أخرى مشابهة في الدوافع والأهداف؛ مثل حركة القرامطة.

إن من أهم أسباب إخفاق هذه الحركة أنها كانت حركة طبقية ضيقة، لا تتطوى على برنامج شامل، وأسس فكرية ثابتة، فكان نجاحها رهيناً ببقاء زعيمها وحماسة أتباعه العبيد⁽⁴⁴⁾.

ومن هنا لم تستطع هذه الدعوة أن تجذب الأحرار من أهل البصرة على نطاق واسع، وإن انضم إلى صفوفها جماعات من الأعراب وأهل القرى، ولاشك أن عداة الأحرار من الطبقة الوسطى لحركة الزنج يضر مصالحهم الشخصية؛ لأن تحرير العبيد يعنى بالنسبة إليهم خسارة مادية كبيرة كما أسلفنا⁽⁴⁵⁾.

ب- الأسس العقائدية لثورة الزنج:

يجمع أغلب المؤرخين على أن صاحب الزنج لم يكن علويًا، وأنه ادعى

النسب العلوى ليضفى على ثورته طابعا شرعيا يبررها فى نظر العامة. غير أن هناك من ذهب إلى القول بصحة نسبه إلى العلويين.

ولمناقشة هذا الرأى نوضح ما يأتى:

يقول الملطى فى معرض كلامه على الشيعة الإمامية: "والفرقة الثانية عشرة أصحاب زيد بن على رضى الله عنهما. فالأول من الزيدية أعظمهم قدرا، وكان منهم على بن محمد صاحب البصرة، وأشمل دمائهم وأحوالهم، وباعهم سبيا، وأهدر أموالهم، وكان يقول: لا يلدوا إلا فاجرا كفارا"⁽⁴⁶⁾.

1- يذكر الملطى فى موضع آخر أن صاحب الزنج أحرق المصاحف والمساجد، فى حين لم تذكر المراجع المعاصرة شيئا من هذا القبيل، ولو كان فعل ذلك حقا لما تردد المؤرخون الآخرون فى ذكر هذه الحقيقة، ولاتخذوها منفذا للهجوم عليه، بل نجد أن شعاره كان آيات من القرآن، سجلها على رايته، ونقشها على نقوده؛ كهذه الآية: "إن الله اشترى من المؤمنين... إلى آخر الآية"⁽⁴⁷⁾.

2- يرى الملطى أن عليا بن محمد من الشيعة الزيدية، ويبدو أن الملطى أخذ الادعاء من على بن محمد للنسب العلوى. ويجدر بنا أن نشير إلى أن تصرفات صاحب الزنج تجاه العلويين لم تكن توحى بأنه منهم. وعلى هذا فإن صاحب الزنج ادعى النسب العلوى ليكتسب صفة شرعية من ناحية، ولكى يجذب إليه العامة من ناحية أخرى⁽⁴⁸⁾.

وما يدل على هذا أنه عاد فنبذ مبادئ الشيعة؛ لأنها لم تحقق بغيته، فعقيدة الشيعة، ووجوب حصر الإمامة فى آل على، والزيدية منهم تدعو إلى إمامة من خرج من آل على، الذى يدعو إلى الكتاب والسنة، ويدعو إلى الجهاد⁽⁴⁹⁾. ولعل على بن محمد أراد أن يفيد من هذا المبدأ ليستحق لقب الإمامة.

وواضح من هذا أن صاحب الزنج اعتنق عقيدة الخوارج الذين مثلوا الحزب الجمهورى فى الإسلام، فقالوا بوجوب اختيار الخليفة من بين الأكفاء، بغض النظر عن النسب وعن اللون. ومن هنا يجدر بنا تعريف الخوارج الذين خرجوا على الخليفة الرابع لرفضهم التحكيم بعد معركة صفين. ومن ثم كانت نشأتهم سياسية تنصب على رأيهم فى اختيار الإمام، غير أنهم منذ عهد عبد الملك بن مروان، أصبح لديهم عقائد فلسفية ودينية خاصة⁽⁵⁰⁾.

وظلت هذه الفرقة طوال تاريخها تتميز بالعنف والجرأة والصلابة، وتنتظر إلى مخالفيها على أنهم عبدة أوثان، فرموهم بالكفر، ونصبوا أنفسهم حماة للضعفاء،

وحرباً على الجائرين، وأهم ما ميز الخوارج نزعتهم إلى المساواة، حتى إنهم أجازوا انتخاب العبد لمنصب الخليفة ما دام أنه يطبق الشرع ويراعى العدالة.

فإذا ما انحرف عن الاستقامة والصواب وجب خلعه، وحق لعنه. ومن هنا وقفوا في وجه الأمويين والعباسيين بوصفهم غير مؤتمرين بأمر الله سبحانه. واشتهر الأزارقة الذين اعتنق الزنج مبادئهم بتكفير عثمان وعلى والزبير وعائشة وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم، كما أباحوا قتل أطفال المخالفين ونسائهم؛ فإلى أي حد اعتنق صاحب الزنج عقائد الخوارج؟

1- يقول صاحب الزنج في خطبة له:

الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله

الله أكبر ألا لا حكم إلا لله

وكانت هذه العبارة صرخة الحرب التي نادى بها الخوارج منذ رفضوا التحكيم، وكانوا يعنون بها أن لا حكم إلا السيف؛ أي أنهم كانوا يرون وجوب الثورة على السلطان الجائر⁽⁵¹⁾.

وهذا هو المبدأ الذي استغله صاحب الزنج حين ألّب العبيد على الخلافة العباسية.

2- يقول الطبري: إن صاحب الزنج ابتاع قطعة من الحديد كتب عليها هذه الآية: "إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَا عَلَيْهِمْ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِنَيْبِكُمُ الَّذِي بَايَعَكُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ"، وتدل هذه الآية على أن ساعة القضاء على الظلم قد أزفت، وأن المؤمنين الذين باعوا أنفسهم لم يعودوا بعد عرضة للرق والعبودية⁽⁵²⁾. ويتبين أن ثورة الزنج كانت خارجية، فقد باع الثائرون أنفسهم لله، يقاتلون في سبيله، وهو نفسه ما فعله الخوارج من قبل ومن بعد⁽⁵³⁾.

3- أصدر صاحب الزنج قطعة ذهبية سنة 261هـ / 874م؛ هي الآن في المتحف البريطاني، وتقف دليلاً قوياً على أنه كان خارجياً، وتقف شاهدة على تلك الثورة المدمرة التي سببت خسارة مليون نسمة. كما أن هناك قطعة ذهبية نشرها الأستاذ "كازانوف"، وتوجد الآن في باريس، على أن القطعة التي تحدث عنها أقدم تاريخياً وفيما يلي نص ما كُتب عليها⁽⁵⁴⁾.

الوجه:

لا إله إلا الله، الله وحده، لا شريك له، محمد، بن أمير المؤمنين.

الهامش الداخلى:

بسم الله، ضُرب هذا الدينار بالمدينة (هكذا) المختارة سنة إحدى وستين ومائتين.

الهامش الخارجى:

إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله (هكذا)

الظهر:

على، محمد، رسول، الله، المهدي على بن محمد.

الهامش:

ومن لم يحكم بما أنزل (الله فأولئك هم الكافرون).

ألا لا حكم إلا لله ولا طاعة لمن (عدا) الله

يقول الأستاذ "وكرر" فى مقاله القيم:

"إن المهدي كتب على رأيه الآية القرآنية التى ذكرنا منها، والتى ظهرت فى وجه هذه القطعة النقدية، وهذه مهادنة من صاحب الزنج؛ لأنه يستطيع تفسير هذه الآية بأنها تدعو إلى تحرير أتباعه من العبودية وتمنحهم المساواة بأسيادهم إذا حملوا السلاح فى وجوههم وفى وجوه كل المسلمين الفاسقين"⁽⁵⁵⁾.

وما دما قد ناقشنا مختلف الآراء عن المبادئ التى تبنتها ثورة الزنج، فعلىنا مناقشة رأى للأستاذ ماسينون مؤداه أن هناك علاقة بين "راشد القرامطى" وهو أحد قواد الزنج، والقرامطة؛ يقول: "إنه [أى صاحب الزنج] استطاع بمساعدة الطحان وبائع أن ينال يمين الإخلاص من أتباعه على الطريقة القرمطية، وهو يمين بالطلاق"⁽⁵⁶⁾.

والقرامطيون هم طائفة من الزنج اكتسبت هذا الاسم فى أفريقيا، ولم يكن راشد سوى أحد أفراد هذه الطائفة، ومن ثم تنتفى أية علاقة بينه وبين القرامطة، وإن تشابهت اللفظتان (قرمطى وقرمطى). على أنه يبدو أن صاحب الزنج عرض على حمدان قرمط رغبته فى مخالفته، فرفض الاتفاق للتنافر والتنافس الموجود بين مبادئهما⁽⁵⁷⁾. هذا فضلا عن عدم وجود برنامج فكرى واجتماعى شامل فى حركة الزنج يعكس ما نجده لدى القرامطة الذين تبنوا نظاما دقيقا من هذا النوع.

ونحن وإن كنا مضطرين إلى إنكار قيام علاقة واضحة بين الحركتين، لكننا

نعتقد أن نوعاً من التفاعل الفكري غير التام قام بينهما، بحكم أنهما كانتا متعاصرتين، وكلتاهما راجتا في أوساط الطبقات الدنيا في العراق الأدنى. والحق أن ثورة الزنج مهدت الجو لانتشار حركة القرامطة، وهيات الأذهان لقبولها. كما أنها شغلت الخلافة العباسية أربع عشرة سنة؛ وهو مما هيا للقرامطة فرص العمل على ترويح دعوتهم في سواد العراق⁽⁵⁸⁾.

حروب الزنج:

أ- جغرافية المنطقة وأثرها في الحرب:

وقعت حوادث "ثورة الزنج" في المنطقة الواقعة بين مصب دجلة العوراء (شط العرب الحالي) وواسط. لهذا يجب تعرف جغرافية المكان أولاً.

كان مجرى الفرات الأصلي فوق خرائب بابل بمسافة قليلة، ثم اتخذ المجرى الأيمن أو الغربي، وبعد أن كان يمر بالكوفة تنبدد مياهه في البطيحة، وهي المستنقع الكبير الخطير الأثر في الجغرافية الطبيعية والسياسية لتلك الأيام. وكان الفرات مكوناً عند مجراه الأدنى في منطقة بحيرات ومستنقعات تتصل بالبحر بعدد من القنوات التي تتأثر بالمد، أما دجلة فبعد أن كان يصل إلى موضع الكويت الحالية، ينحرف جنوباً فيتسع في واسط، حيث يوجد النهر المعروف "شط الحى". ويبدو أن هذا المجرى لم يكن مجرى دجلة، بل كان مجراه يمر بواسط التي تسمى الآن عند الأعراب خرائبها "بالمنازة"، ثم يتغلغل النهر تحت واسط بقليل في البطيحة. على أن دجلة يختلف عن الفرات من هذه الناحية؛ إذ إن مجراه متصلًا بسلسلة من القنوات الصالحة للملاحة، ثم تجرى المياه المتجمعة في المستنقع الكبير (البطيحة) في مجرى يتصل مباشرة بصدد الشط الذي يميل إليه المد، وبعد أن تعبر البصرة تصب في خليج فارس. أما في الوقت الحاضر فيتجه دجلة بعد عبوره الكويت شرقاً بدون أن يجرى نحو واسط، ويظل متجهاً شرقاً، لكنه يتجه بعد دورة طويلة نحو القرنه، حيث يلتقي بالفرات، فيكونان شط العرب، والراجح من هذا أن التبدل كان في القرن السادس عشر تدريجياً.

المنطقة الجنوبية:

كانت المنطقة الجنوبية من العراق مليئة بالمستنقعات والمسطحات المائية التي كان أهمها يقع قرب البصرة، وكان الرافد الرئيسي لدجلة هو ما يسمى الآن "بشط الحى"، وكان الرافد أو القسم الأدنى لدجلة يتصل بالرافد الذي كانت تقع عليه البصرة بعدد كبير من القنوات، بعضها يصلح لملاحة السفن الكبيرة، وكلها يدخل المد آنذاك. وعليه فقد أهمل القسم الأدنى من العراق، وخرب بفعل العوامل الطبيعية. ولقد وقعت أكثر حوادث حرب الزنج في منطقة البصرة المطلة على شط

العرب، وهو ما كان يسمى بدجلة العوراء، وكانت دجلة تصل إلى دجلة البصرة التى تدعى العوراء فى أنهار متشعبة، وكانت تتفرع من شط العرب قناتان كبيرتان، فتكونان قناة واحدة تسير نحو الجنوب، ومنها تفرعت ترع كثيرة امتدت فى جميع الجهات. أما القناة العليا وهى التى تسمى بنهر معقل، والأخرى هى الجنوبية الغربية، وتسمى بنهر الأيلة، ومنها تتكون جزيرة كبيرة مستطيلة تقع البصرة على أقصى ضلع منها⁽⁵⁹⁾.

لقد كانت البصرة تشتهر بكثرة أنهارها، حتى بلغت مائة وعشرين ألف نهر. وعلى الرغم من المبالغة فى هذا العدد؛ فإن الأنهار والقنوات والجدول المتفرعة من شط العرب والنهيرات الفرعية التى حفرت لأغراض أخرى، لا تزال إلى اليوم كثيرة لا يمكن تقدير عددها⁽⁶⁰⁾. ومن أهم تلك الأنهار ما يأتى:

نهر أبى الخصيب الذى نسب إلى أبى الخصيب مرزوق مولى الخليفة أبى جعفر المنصور، ونهر الأمير الذى حفره المنصور ثم وهبه لابنه جعفر.

والغندل، وسيمان، ونهر النبات أو البنات الذى نسب إلى بنات زياد، ونهر المرغاب الذى حفره بشير المرغاب فى العصر الأموى، ونهر السديسر ونهر المرأة، ونهر شيرين، واليهودى، وفى الجانب الشرقى نجد أنهار المبارك، والريان، وبيان⁽⁶¹⁾.

أما البطيحة فهو الاسم الذى أطلق على الأهواز الواقعة بين البصرة وواسط، وكانت قديماً قرى متصلة، وأرضها أرض عامرة، غير أن فيضان دجلة والفرات أغرقها، فأخفى أغلب الأرض وتغلب الماء.

لقد ساعد الموقع الجغرافى المذكور على جعل حرب الزنج واجبا شاقا بالنسبة إلى الجيوش العباسية؛ لأن هذه الجيوش الضخمة ذات التجهيزات الثقيلة كان يصعب عليها التحرك والتنقل السريع فى تلك البقاع التى تكتنفها المسطحات المائية، وتخترقها مئات القنوات التى تمتلئ بالحلفا والبردى والقصب وأنواع أخرى⁽⁶²⁾.

إن هذه الطبوغرافية جعلت الحرب حربا غير منظمة، يصعب فيها تقابل الفريقين المتحاربين وجها لوجه، ومن ثم غدت حرب كمائن وعصابات مانعة منتقلة من مكان إلى آخر بسرعة عجيبة؛ وهو مما ساعد على إطالة أمد الحرب. ولقد شهدت هذه القطعة قبل الزنج بحوالى أربعين سنة عصيانا قام به الزط، وهم جماعة من الهند وفارس ضد الدولة العباسية، لم يهدأ إلا بعد مجهودات جبارة بذلها المأمون والمعتمد، مع أن الزط لم يكونوا يوازنون الزنج، لا فى العدد، ولا فى

الشجاعة، في وقت كانت الخلافة في عصرها الذهبي .

ولأجل هذا يجب أن نضع نصب أعيننا طبيعة الموقع نفسه، وهى من الأسباب المساعدة على الحرب⁽⁶⁴⁾ .

فلقد كانوا يحاربون على تربة اعتادوها جيدا، وخبروها طويلا؛ لاشتغالهم عليها. وبينما كان الزنج يقسمون أنفسهم إلى عصابات قليلة العدد خفيفة الأسلحة سريعة الحركة، كان العباسيون على شكل فرق ضخمة ثقيلة السلاح اعتادت الحرب على أرض صلبة. ومن هنا قاسى العباسيون متاعب جمّة، حتى إن أحمد ابن الموفق أخا الخليفة المعتمد تعب كثيرا من ضيق المواضع التى كان يحارب فيها، وصعوبتها، وكثرة الخنادق والأنهار بها⁽⁶⁵⁾ .

ومن أمثلة الصعوبات التى كان يلاقيها العباسيون فى هذه الحرب، ما يرويه الطبرى عن استغلال الزنج لهذه الطبيعة المعقدة، وكيف كانوا يجرون المياه على السباخ فى الطرق التى يسلكها أصحاب الموفق؛ كيلا يجدوا إلى سلوكها سبيلا، وكيف كانوا يحفرون خنادق فى مواضع عدة، يحولون بها دون تقدم الجيوش العباسية. وكان الموفق يضطر إلى إضاعة كثير من وقته وجهده فى ردم الخنادق والأنهار والمواضع الضيقة؛ كي تصلح فيها مسالك الخيل والرجالة. ونجد الموفق فى حوادث سنة 269هـ/ 882م يقاسى مشقة فى العبور إلى معسكر الزنج؛ لصعوبة سير الجيوش، فيأمر بقطع النخيل، وإصلاح الأرض، وبناء الاستحكامات، وحفر الخنادق⁽⁶⁶⁾ .

هذا إلى جانب أن النخيل كثيف فى هذه المنطقة المحيطة بشط العرب التى لا تزال تعد من أكثر مناطق غابات النخيل كثافة فى العالم، فساعدتهم على تنظيم أنفسهم فى جماعات صغيرة العدد، تكمن بين الأشجار، وتترصد بقوات العباسيين الدوائر، فتأخذها على حين غرة. واستخدم الزنج الكشافة والطلائع التى كانت تكمن بعيدا فى مواضع متفرقة؛ لتأتى بأخبار حركات الجيوش العباسية. وكان صاحب الزنج يلم بجميع أخبار العباسيين، وهو فى موضعه، بفضل جواسيسه وكشافاته.

وكذلك استغل الزنج خبراتهم فى الأنهار، فبرهنوا على براعة فى حرب الماء، وقد ساعدتهم الطبيعة كثيرا، فكانت الرياح تهب وتعصف فى بعض الأيام فى شط العرب، فتتعدى الحرب على العباسيين، وينتهز الزنج شل حركة فكرهم وحركة عددهم⁽⁶⁷⁾ .

ب- غارات الزنج على البصرة:

بدأت حركة الزنج فى ليلة السبت 28، وقيل 26 رمضان سنة 255هـ

(الموافق 10 سبتمبر من 869م)، فى عهد الخليفة المهتدى بالله محمد بن الواثق (255-256هـ/ 769-870 م)، على الرغم من أن المهتدى كان من أعظم خلفاء هذه الحقبة، وأشدهم رغبة فى الإصلاح، غير أنه كان فى شغل شاغل بصراعه الرهيب مع القواد الأتراك الذين أصبحوا منذ اغتيالهم المتوكل سنة 247هـ/ 861م القوة الموجهة للسياسة الداخلية والخارجية، وعلى رأسهم موسى ابن بغا، وصالح بن وصيف، وبابكاك⁽⁶⁸⁾.

حتى إنهم لم يجدوا رادعا يردعهم عند تعذيب الخليفة وقتله بصورة مذلة، لا لأمر إلا أنه حاول عن طريق استعانتة بالعامية إيقاف نفوذهم عند حده. وكانت بداية الحركة بخروج على بن محمد فى فرات البصرة، حيث كان يقيم فى موضع يدعى قصر القرشى. وكان أول ما فعله أنه قبض على خمسين عبدا من الرجال لرجل يدعى العطار، كانوا فى طريقهم إلى عملهم فى كسح السباخ، ثم اتجه إلى موضع آخر، فأخذ منه خمسمائة غلام. وهكذا بدأ يتجول فى المنطقة المجاورة طوال يومه، يتصيد العبيد، وخطب فيهم، وجعلهم يضربون سادتهم بالعصا، فانتقموا منهم.

ولما أصبح العدد من أتباعه ضخما أخذ على ينظم أتباعه بشكل يتمثل فى فرق وعليهم قواد رؤساء، ووعدهم بمكافأة كل من يأتى بتابع جديد يضمه إليه. لكن برزت أمامهم مشكلة هى الحاجة إلى السلاح، وكان المعسكر به ثلاثة أسياف. بل لقد استعمل أحدهم طبق طعام فى الرمي، مبررا استخدامه سلاحا للدفاع عن نفسه به، وحل تلك المشكلة لا تكون إلا بالغارات المتوالية على القرى المجاورة، فهاجم قرية الجعرانة أو الجعفرية، وعثر على مائتين وخمسين دينارا وألف درهم، وأنه كان يركب فرسا أهدى إليه، وأخذ العدد يزداد واحدا تلو الآخر، حتى إنه قاد ستة آلاف جندي فى معركة واحدة. وكان له موهبة فائقة فى المقاتلات والمغارات والغزوات، وكان يستخدم الحرب النفسية أو حرب الأعصاب⁽⁶⁹⁾.

ج- احتلال الزنج الأبله وعبادان والأهواز:

هاجم الزنج بعد أن أشتد ساعدتهم الأبله، وهى الميناء التجارى العظيم، كان يقع على شاطئ شط العرب فى زاوية الخليج الفارسى، على بعد أربع ساعات من البصرة القديمة، وذلك فى 25 رجب سنة 256هـ/ 29 حزيران سنة 870م، ودخل الزنج المدينة بعد معركة عنيفة قصيرة جرت فى البحر والبر، وكان دخولهم إياها مصحوبا بمجزرة هائلة، فقد قتل وغرق من أهلها كثير، وذهبت بيوت المدنيين المبنية من خشب الساج طعمة للنيران، وكسب على بن محمد كميات هائلة من السلاح، وحرر العبيد هناك، واستولى على حصن المدينة⁽⁷⁰⁾.

وأهمية الأبلّة واضحة، فقد كانت مدينة خصيبة عامرة، وتعد أكبر المدن المحيطة بالبصرة، وكانت تقع على النهر المسمى بها، ويروى البلازرى أن أبا موسى الأشعري رضى الله عنه - مد نهر الأبلّة من موضع الأجانة (وهى خور يبعد ثلاثة فراسخ من البصرة) إلى البصرة، ثم ضم جزءا من هذا النهر فحفره زياد بن أبيه حتى بلغ البصرة، وبذلك أصبح طول النهر أربعة فراسخ، وفيها قصور وأسواق ومساجد وأربطة، وهى لا توصف من شدة جمالها، وكان شط العرب يقع إلى المشرق من هذه المدينة.

وكان لدخول الزنج الأبلّة بهذه السهولة أبلغ الأثر فى عبادان، فلقد بلغ الرعب بأهلها أقصاه. وعبادان بلدة صغيرة تقع على جزيرة فى مصب نهر شط العرب الحالى قرب البحر ⁽⁷¹⁾.

وقد فتح أهلها أبواب المدينة، واستسلموا للمغيرين، بدون قيد أو شرط، فدخلها على بن محمد، وحرر من كان بها من العبيد، وألحقهم بالجيش، واستولى على ما فيها من السلاح، ووزعه على أصحابه.

وبعد استسلام عبادان، طمع صاحب الزنج فى الأهواز، فهاجم جبى (وهى بلدة من أعمال خوزستان)، فانهارت سريعا، وانفتح الطريق أمام الزنج إلى الأهواز (وهى عاصمة المنطقة التى كانت تقع على نهر قارون الحالى)، وسقطت فى يوم الإثنين 12 رمضان 256هـ/ 870م ⁽⁷²⁾.

د- احتلال البصرة:

من احتلال البلدان السابقة يتضح أن هدف صاحب الزنج الرئيسى كان احتلال البصرة. ولما كان هذا المشروع الضخم يستدعى كثيرا من الاستعدادات والجهود؛ فإنه وضع خطة غاية فى الأحكام، تتلخص فى قطع المواصلات عن هذه المدينة بدجلة، وفرض الحصار الاقتصادى الشديد عليها، وعزلها عن المناطق المجاورة عزلا تاما. وقد نجح الزنج فى عزل البصرة وحصارها وضربوا ما حولها من المدن والقرى تمهيدا لدخولها. ويبدو أن المدينة كانت تعاني عصبية طائفية بين الربيعيين (وهم شيعة) والسعديين (من السنة)، كما يروى المؤرخون. وزاد الأمر سوءا أن البصرة أخذت تعاني من الغلاء وندرة القوت، فقد انتشر الجوع وكثر الوباء ⁽⁷³⁾.

وكانت الظاهرة الرئيسية فى حرب البصرة هى محاولة كل من الفريقين الحصول على المؤن الكافية، ومنعها عن الفريق الآخر. ويروى شاهد عيان أن صاحب الزنج كان يستعين بالأعراب. لقد بدأ الجيش الزنجى فى مهاجمة المدينة يوم الجمعة 17 شوال 257هـ/ 7 أيلول سنة 871م، فدخلها من ثلاث جهات، وجرت الأعمال المعتادة من قتل وحرق طوال يومى الجمعة والسبت، ثم انسحب

على بن أبان من المءىنة؁ ءوفا من الكمان؁ لكنه عاوء الكرة يوم الإثنى فءءلها؁ وانقم من أهلها شر انقام؁ وأعمل العبىء المءعطفشى للئار سىوفهم فى جموعهم؁ فكان السىف يعمل فىهم وأصواتهم مرفعة بالشهادة؁ وعظم الخطب والقئل والنهب والإءراق؁ وقئلوا كل من وءءوه من أهل البصرة؁ وأءءوا ماله؁ وأءءقئ النار بالمءىنة من كل جانب؁ فالتهمت كل شىء مرء به من إنسان وبهىمة وأئاث ومئاع⁽⁷⁴⁾.

لقد كان اءءلال البصرة نصرا مؤزرا للزنء؁ وكارئة ومءلة بالنسبة إلى الخلفة؛ ذلك أن هءه المءىنة كانت عىن العراق ومىناء النهرى الوءىء؁ وئعنى السىطرة علفها قطع التجارة العباسىة الصاءرة والواءرة.

ىروى المسعودى "إن كئىرا من أهل هءه المءىنة اءنفوا فى الدور والآبار؁ فكانوا ىظهرون باللىل؁ فىأءءون الكلاب؁ فىءبءونها وىأكلونها؁ والفىران والسنانىر فأففوها؁ حتى لم ىءءوا منها شىئا؁ فكانوا إذا مات الواحد منهم أكلوه؁ وعءموا مع ذلك الماء العءب"⁽⁷⁵⁾.

هـ- فئرة الائنقال:

فى يوم الإثنى من شهر ربىع الأول سنة 258هـ/ 871م عءء المعئماء لأخىه أبى أءمء الموفق طلءة على ءىار مضر وقفسرىن والعواصم؁ وفى يوم الخمىس أول ربىع الآخر وءه هو ومفلء - بعء أن طلع علفها - إلى البصرة لءرب الزنء؁ وهءا ءلىل على أن الخلفة بءأت ئشعر بءطر الزنء؁ بعء أن ظهر عءز القواء الأئراك عن إىفاف ئقمهم؁ وبءا أن الرءل الوءىء الذى ىستطىع إنقااء الموفق هو ولى العهد الذى قاء ءىشا ضءما لم ىر أءسن منه عءة وأكمل سلاءا وعئاءا وأكثر عءاءا وجمعا.

وقء أوقع ءىش الرعب فى قلوب الزنء؁ وكاءئ عزىمئهم ئئهار؁ لولا أن أءرك زعىمهم الءطر؁ فأرسل ىستءعى على بن أبان من الأهواز؁ فوافاه فىمن معه من ءنء؁ وءصل أن قئل مفلء (الساعء الأىمن للموفق)؁ فااءئل نظام ءىش العباسى؁ ولءقئته الهزىمة؁ فانسءب أبو أءمء إلى الأبله؁ لىعىء ئنظم صفوفه.

لقى ءىش أبى أءمء عئنا شءىءا فى ئلك ءهات الءارة الملبئة بالأهواز؁ وئفشئ بىن ءنءه الأوبئة والأمراض؁ وكئر فىهم الموت؁ فبىقى مقىما فى الأبله حتى ئءسن وئع ءنءه؁ وبرئوا مما أصابهم من المرض؁ فعاء إلى بااء اورء (وهى مءىنة بىن البصرة وواسط)؁ ءىء أصلىء سفنه؁ وءءء أسلءئته؁ وعبا ءنءه ئعبئة ءءىءة؁ لىعىء الكرة على عءوه⁽⁷⁶⁾.

والتحم الفريقان عند نهر الخصيب التحاما مستعرا، كان من أثره أن قتل وجرح عدد كبير من كلا الجانبين. وعلى الرغم من أن الموفق أصاب تقدما ونجاحا في بعض الأحيان؛ فإن الإخفاق كان نصيبه في النهاية، ذلك أن الزنج جمعوا كل قواتهم، وبنوا كمانين بين الأدغال، لتصد أصحاب الموفق، ولم يشعر إلا وقد أصبح مخيمه طعمة للنيران، ووجد الأمير العباسي نفسه مضطرا إلى التراجع إلى واسط، حيث انفض عنه من كان معه من أصحابه، أما هو فقد عاد إلى سامراء يوم الجمعة 26 من ربيع الأول سنة 259هـ/ كانون الثاني 872م، تاركا واسط، وبذلك تددت كل هذه الأحلام في الحملة⁽⁷⁷⁾.

وبانسحاب الموفق تحرر الزنج من خطر داهم، وأخذوا يغيرون على المدن والقرى. وأرسل على بن محمد قوات كبيرة إلى الأهواز، بقيادة على بن أبان وسليمان بن جامع، فلم تثبت قوات الوالي إلا قليلا أمام هذه الجيوش الكثيفة. وعليه فقد كانت حملاتهم سببها التموين، والحصول على الغنائم، لا الاحتلال والقتال، ودخل الأهواز في 6 رجب سنة 259هـ/ مايو 872م⁽⁷⁸⁾.

و- الزنج والصفاريون:

تمر فترة من الزمن لا نسمع خلالها عن أمر الزنج شيئا. ويبدو أن حركة الصفاريين هي التي شغلت بال الخلافة آنذاك، فقد ظهر على مسرح التاريخ ثائر جديد هو يعقوب بن الليث الصفار الذي كان يتمتع بإرادة حديدية وعقل نافذ، وسرعان ما مكناه من أن يصبح سيد بلاد فارس في وقت قصير، ففي سنة 259هـ/ 872م استولى على نيسابور، وكان قبل ذلك قد استولى على سجستان وهرات وبوشنج، وفي سنة 260هـ/ 873م دخل طبرستان، ومن ثم أخذت أطماعه تسفر عن نفسها؛ وهو مما أدى إلى انتباه الخلافة إلى خطره، حتى أصدر مرسوما بلعنه على منابر الأمصار، وهو أسلوب في الدعاية كان له أبعد الأثر في قلوب العامة. على أن ذلك لم يحل بين الصفار وطبرستان وجرجان والري وأذربيجان وقزوین، ثم دخل خوزستان سنة 262هـ/ 875م؛ وهو مما أطمعه في أن يعبر إلى باب الخليفة.

إن قيام الصفار بهذه الحركة الخطرة، وتكوين إمبراطورية فارسية في المشرق أفاد الزنج كثيرا؛ ذلك لأن الموفق ركز كل هممه لحرب الصفار، فاستغل الزنج فرصة انسحاب قوات الخلافة من دجلة الأدنى، ومدوا نفوذهم إلى الشمال، بمعاونة القبائل العربية المستقرة في البطائح جنوب واسط⁽⁷⁹⁾.

ومما ساعد على إنجاح الزنج استقالة موسى بن بغا من واجب حربهم، بل من ولاية المشرق جميعا؛ وهو مما أتاح لهم أن يعيدوا الكرة في الهجوم على الأهواز،

فدخلوها مرة ثالثة، وأفرطوا فى القتل، حتى قيل إن عدد القتلى بلغ خمسين ألفاً. وقد عقد حلف بين صاحب الزنج وعامل الصفار على الأهواز، وهو رجل كردى يدعى محمد بن عبد الله. وتم هذا الحلف فعلاً، واتفق الثائران على حرب قوات الخليفة فى تلك الجهات سنة 262هـ/ 875 م⁽⁸⁰⁾.

على أن العلاقات لم تلبث أن فسدت؛ لأن الحلف لم يكن ينطوى على الإخلاص، ومن ثم استطاعت قوات الخلافة هزيمة الزنج وجرح قائدهم على بن أبان. وأدرك الزنج قيمة التحالف مع الصفاريين، فالحوا على يعقوب فى عقد حلف جدى، لكن المفاوضات أخفقت؛ لأن يعقوب نظر إلى الزنج على أنهم مارقون من جهة؛ ولأنه كان ذا نزعة فردية، وبهذا انتهى العمل على الحلف؛ إذ مات يعقوب فى ذى القعدة سنة 265هـ/ 878 م⁽⁸¹⁾.

أبو أحمد الموفق وحرب الزنج:

أ- أبو أحمد الموفق:

كانت نتيجة طلب الأتراك أن يتولى إمرة الجيش أحد إخوة الخليفة، وألا يرأسهم واحد منهم، لما كان بينهم من الخلاف؛ لذا ولى الخليفة المعتمد أخاه أبا أحمد طلحة بن المتوكل إمرة الجيش فى صفر سنة 257هـ/ 869م. وفى يوم الإثنين العشرين من ربيع الأول سنة 258هـ/ 870م عقد له ديار مضر والعواصم، ثم ولاه الكوفة، وطرق مكة، والحرمين، واليمن، وبغداد، والسواد، وكور دجلة، والبصرة، والأهواز، وفارس. وفى ربيع الآخر خلع عليه الخليفة، وسيره لحرب الزنج قائداً أعلى. ولم يلبث الموفق أن نال حظوة أخرى حين ولى العهد بدلاً من جعفر المفوض بن المعتمد⁽⁸²⁾.

كما أنه قد أضيف إليه ولايات جديدة كأصفهان والكرج والدينور وكسكر والرى وزنجان وخراسان، وطبرستان، وكرمان، وسجستان، والسند، وعقد لابن الموفق والمفوض لواءان: أسود وأبيض. ولما كان الخليفة المعتمد شخصية غاية فى الضعف والخور؛ فقد غدا الموفق هو الغالب على أمور الدولة جميعاً⁽⁸³⁾.

لقد كان الموفق صاحب عزيمة ثابتة وميل للغلبة والتفوق، وعلى يديه تمت الأمور المهمة فى هذا العهد، ولم يكن كخصمه صاحب الزنج من عامة الناس، بل كان من سلالة الخلفاء، فأبوه المتوكل، وأمه أم ولد رومية. ويبدو أنها كانت أثيرة لدى زوجها، وكان أمراء البيت المالِك فى عهده قد استقاموا إلى اللذة، وأغرقوا فى الترف، وأفرطوا فى انتهاب اللذات، وتبذير الأموال؛ فأدركهم الوهن، وألقوا أمورهم إلى الجوارى والعبيد، يصرفونها كيفما شاءوا.

ومن هنا نجد أبا أحمد متفردا بين أفراد طبقته في الحزم والعزم والشجاعة النادرة والجد المتواصل. وكان رجلا موفور النشاط، لا يعرف الهدوء، ولا الاستقرار، فكان يصرف شئون الإدارة الداخلية، ويحارب أعداء الزنج في البصرة، ويقاوم توسع الطولونيين في الغرب، ويجتهد في دفع خطر الصفاريين الذي طرق أبواب بغداد، وكان مثلاً نادراً في اليقظة والحزم⁽⁸⁴⁾.

وبينما كانت الأحداث تتردى، كان الموفق في مكة، حيث نفاه إليها الخليفة المهدي، فاستدعاه المعتمد حين عظم نفوذ الزنج، وبأن خطرهم؛ وهذا يدل على أمرين:

الأمر الأول: أن المعتمد كان يدرك أنه لا يستطيع أن يبعد الخطر الذي يهدد الخلافة.

الأمر الثاني: أنه كان يقدر الموفق حق قدره، ويعرف له كفاءته العسكرية التي سرعان ما أسفرت عنها الأيام القادمة⁽⁸⁵⁾.

كانت المهمة التي أنيطت بالموفق شاقة عسيرة، فقد نفذت موارد الدولة من جراء حرب الزنج، وتناقل الناس عن دفع الضرائب، واضطرب المشرق، وتعاكس ولائه عن الانصياع للخليفة، ودفع ما عليهم من الخراج.

ولقد أوعز أبو أحمد الموفق إلى موسى بن بغا بعزل ابن طولون عن مصر، وتقليدها ماجور التركي وإلى دمشق، وحين رفض هذا الأخير أن يقف في وجه ابن طولون سار ابن بغا بنفسه إلى الرقة لقتاله. واتخذ ابن طولون للأمر عدته، فبنى قصرا أو حصنا منيعا في الجزيرة، وجهاز أسطولا حربيا ضخما⁽⁸⁶⁾.

ولما ازداد نفوذ ابن طولون وتوسعت مملكته بعد أن استتب له الأمر في الثغور الشامية. وحدث أن توفي ماجور وإلى الشام فاستولى ابن طولون على الرملة ودمشق وحمص بين سنتي 264-265هـ / 877-878م، ودخل أنطاكية، ثم استولى على طرطوس وبيض المؤرخون في أن ابن طولون استغل حجر الموفق على الخليفة، فأثار حفيظة الرأي العام ضده، ووافق على عقد اجتماع خطير حضره القضاة والفقهاء، وقرر خلع الموفق عن ولاية العهد، ودعوة الناس إلى حربه، غير أن هذا القرار كان مناورة سياسية فحسب، لم تؤد إلى نتيجة إيجابية⁽⁸⁷⁾.

وذكر المؤرخون في وصف محاسن الموفق أنه كان عادلا حسن السيرة يجلس للمظالم فينصف الناس، وكان عالما بالأدب والنسب وسياسة الملك. ولا ندرى كيف نوفق بين كل ذلك وما يرويه المؤرخون من أنه أمر كاتبه ذات يوم بشراء ثلاثين

ألف ثوب من نوع ثوب كان يعجبه، فى الوقت الذى كانت خزينة الدولة تشكو العوز⁽⁸⁸⁾.

ب- نقطة التحول فى حرب الزنج:

نستطيع القول إن سنة 266هـ/ 879م بداية قوة العباسيين، وأقول نجم الزنج بوصفهم قوة عظيمة هددت المناطق الشرقية من أملاك الخلافة العباسية طوال عشر سنين.

إن انتهاء أمر الصفاريين ترك للموفق مجالا لتركيز قواه لخوض معركة رهيبة مع الزنج، استخدم فيها كل ما فى وسع الخلافة من العدد والعدة والاستعداد لحملة حاسمة ضد الزنج، وذلك يتطلب خصائص غير عادية فى قائدها؛ إذ يكفى فيه التحلى بالحذر فضلا عن الشجاعة⁽⁸⁹⁾.

على أن الموفق لم يحضر لحرب الزنج إلا بعد مرور عام تقريبا، بل كان من الواجب طرد الزنج من المقاطعات الشمالية، قرب واسط، إنما كلف به ابنه أبا العباس فى ربيع الآخر سنة 266هـ/ 879م، واستعرض أبو أحمد جيش ابنه، وأبدى رضاه التام، وكان هذا الجيش يتكون من عشرة آلاف من الفرسان والرجالة، وكان يرافق الجيش أسطول مكون من الشذار والسميريات، وهى من السفن الحربية، بجانب عدد وفير من المعابر، وكلها متقنة الصنع⁽⁹⁰⁾.

كان أبو العباس شابا فى الثالثة والعشرين من عمره، لذلك لم يقدره الزنج حق قدره، وظنوا أنه فتى حدثا، فاستضعفوا شأنه، غير أنه استطاع أن يجبر قائد الزنج سليمان بن جامع على الانسحاب والتقهقر فى أول اصطدام جرى له معه، وأبى إلا أن يصلى صلاة الجمعة فى واسط، واستأمن له خلق كثير، وقرر أبو العباس أن يتخذ لنفسه معسكرا أسفل واسط، ليأمن من معه⁽⁹¹⁾.

ويبدو أن قوة الزنج ازدادت إلى حد كبير، فقد أخذوا يظهرين فى الميدان كل يوم، وكانت خطتهم - مدة شهرين - تتلخص فى الإغارة السريعة، والانسحاب السريع، يلجأون خلال ذلك إلى إزالة القناطر، وإحراق السفن العباسية. وقد لقى الجيش العباسى أشد العنف من هذه الغارات. وحين أوغل أبو العباس فى نهر مازرون، ووصل إلى قرية الجاحة، من قرى واسط، ليتبع الطرق التى سلكتها سفن الزنج؛ تكاثر حوله هؤلاء من كل جهة، حتى بلغ عددهم ألفين، وانسحبت بعد ذلك⁽⁹²⁾.

ج- الموفق يحتل المنيعَة المنصورة والأهواز:

تنامى إلى أبى أحمد أن صاحب الزنج أمر قواده بتركيز كل قواتهم وقذفها فى وجه أبى العباس دفعة واحدة، فغادر بغداد فى سنة 267هـ/880م، لنجدة ابنه فى جيش ضخم وأسطول مكون من الشذار والسميريات والمعارب.

وسار محازيا دجلة، مارا بالمواضع الآتية: بغداد، والفرات، والمدائن، ودير العاقول، وجرجرايا، وعلى مقربة من واسط تلقاه ابنه، فنقل إليه أنباء الحرب، وأخبار الميدان، وعلى ضوئها أخذ يرسم الخطة الحربية القادمة⁽⁹³⁾.

وقد كان هدف الموفق أن يحتل المنبوعة عاصمة الزنج قرب واسط، على نهر يتفرع من دجلة، يدعى براطق، وفى المكان الذى يسمى سوق الخميس. وكانت المنبوعة محصنة بسور عظيم يحيط بها، ويمتد مسافة فرسخين (سنة أميال).

وخطة الموفق لاحتلال هذه المدينة أن الأسطول سار فى النهر، وجعل الفرسان يحاذون على الشاطئ الشرقى لدجلة، حتى إذا ما وصل إلى النهر، وجعل الفرسان على جانبه، أمر ابنه أن يتقدم بالسفن، فى حين تبعه هو فى الشذار بعامة الجيش؛ أى الرجالة، فقد ساروا على الضفتين إلى جانب الفرسان، وتقابل الفريقان على أبواب المنبوعة، فانهزم الزنج، ودخل الجيش العباسى المدينة فى 8 ربيع الآخر سنة 267هـ/880م، وفى اليوم التالى أباح الموفق المدينة المحتلة لجنده فنهبوا ما فيها من أمتعة وأموال⁽⁹⁴⁾.

وتقدم الموفق حيث تقع المنصورة، وهى الحصن الثانى للزنج الذى بناه سليمان بن جامع، وسلك نهرا البارودورا المؤدى إليها. وفى 27 ربيع الآخر دخل الموفق وأصحابه المنصورة، وفى خلال الموقعة قتل الجنائى، وكان أعظم قواد الزنج وأكثرهم طاعة له. واهتم الموفق بمشكلة التموين اهتماما عظيما، ووفر لهم كل الطاقات المطلوبة؛ لأنه كان يعلم أن إغداق الطعام والأرزاق على جنده هو وحده الدافع لهم على المضى فى هذه الحرب فى هذه المناطق الوعرة⁽⁹⁵⁾.

د - سقوط المختارة:

لقد استغرق حصار المختارة عاصمة الزنج المدة الواقعة بين سنتى 267 و270هـ/880 و883م؛ أى حتى نهاية الثورة، ففى ذى الحجة سنة 267هـ/880م قام أبو أحمد بهجوم على هذه المدينة، واستطاعت قواته أن تشق طريقها إليها، وتعمل فيها التخريب، غير أنها انسحبت فى الليلة نفسها، وكانت المشكلة التى تعترض الموفق فى محاولته احتلال المختارة أنها محصنة بالأسوار التى كان يعلوها الزنج بالمجانيق والعرادات والمقاليع، فضلا عن أنها كانت محصنة بنهر أبى الخصيب⁽⁹⁶⁾.

وفى السادس عشر من ربيع الآخر عام 268هـ/ 881م استطاع الموفق أن يعبر المختارة مصطحبا ابنه أبا العباس وخيرة قواده، وضم المهندسين والعمال، وأمرهم أن يعملوا على هدم السور، بدون أن يدخلوا المدينة، ورافق هذه الحملة عدد كبير من السفن المكتظة بالرماة لحماية مؤخرة المهاجمين، وكانت خطة الموفق تهدف إلى الإحاطة بالمدينة من جميع أطرافها، فأرسل ابنه أبا العباس إلى ركن من أركانها، وقصد هو موضعا من السور، ثم أرسل قواده إلى بقية النواحي⁽⁹⁷⁾.

وتمر الأحداث، وهو يحاول العبور والدخول إلى مدينة المختارة بطريقة آمنة، مراعى فيها المهندسين والجنود والقواد كل أوامره، وملبين له كل متطلباته. وفى ذى القعدة سنة 269هـ/ 882م عزم الموفق على احتلال الزنج بالجانب الشرقى من نهر أبى الخصيب، بعد أن أصبحت كومة من الأنقاض على أثر حوادث الحرق والهدم المتعددة التى أصابها على يد العباسيين، فأمر بإعداد الأسطول من دجلة والبطيحة وجميع النواحي القريبة، وكون قوة من البحارة، تبلغ عشرة آلاف يتناولون مرتبا شهريا من بيت المال، ووزعهم على الشذار والسيريات والرقيات، وجمع السفن الحربية الضخمة، إضافة إلى سفن التموين، ونقل الركاب والمعابر التى ملئت بالملاحين.

وفى فترة تمر كلها بالحروب وأنهار الأسطول ومن به، وعاد الموفق بعد أيام قلائل للأسطول من جديد، ونظم أمره، ونشر الجيوش على الجهات، وأمرهم جميعا بالزحف فى وقت واحد، مع اختلاف أماكنهم وتفرقهم⁽⁹⁸⁾.

ومرت بضعة أيام بلا قتال، واستعاد فيها الفريقان القوة وتنظيم صفوفهما، ثم بدأت الحرب بزحف جديد فى يوم السبت 2 صفر سنة 270هـ/ 883م، وكان الزنج قد عادوا فى أثناء انسحاب الجيش العباسى إلى مدينتهم، وأقاموا بها، وفى هذا الهجوم أسر سليمان بن جامع أبرز قواد الزنج، وقائدان آخران؛ هما: إبراهيم ابن جعفر الهمدانى، ونادر الأسود، فنقلا إلى المعسكر العباسى.

ولم تمر إلا أيام وقتل صاحب الزنج، وكان قتله حدثا ضخما اهتز له الموفق فرحا وسرورا، حتى إنه خر ساجدا بمجرد أن أبصر رأسه وجميع غلمان لؤلؤ، فسجد مع سائر قواده، وحمل الرأس على قفاه وطيف به؛ كى يشاهده أولئك الذين طالما خشوا بأسه وسلطانه الشديد، وظلمه وطغيانه العميق، وانهارت صفوف الزنج بعد أن صرع قائدهم⁽⁹⁹⁾.

وأصدر الموفق بيانا إلى العالم الإسلامى، يهيب فيه بسكان المدن الفارسية أن

يعودوا إلى ديارهم آمنين، وعين ولاية على هذه المناطق التي اختل نظامها الإداري نحواً من أربع عشرة سنة، كلها تحمل معاني الضلال والخيانة والظلم. ولقد غالى المؤرخون حين ذكروا أعداد القتلى الذين ذهبوا ضحية الحرب الطويلة إلى أعداد رهيبة⁽¹⁰⁰⁾.

يقول الصولي: إنه قتل من المسلمين ألف ألف وخمسمائة ألف، وقتل في يوم واحد بالبصرة ثلاثمائة ألف.

ويقول المسعودي: إن المعاصرين تكلموا في مقدار ما قتل في هذه الحروب، وذلك بين أكثر ومقل، فأما الأكثر فيقول: فنى من الناس ما لا يدركه العدد، ولا يقع عليه الإحصاء، وأما المقل فيقول: فنى من الناس خمسمائة ألف، وكلا الفريقين يقول في ذلك ظناً وحسناً؛ إذ كان الشيء لا يدرك ولا يضبط.

وبهذا يتبين مدى المبالغة الشديدة في حصر كل تلك الأعداد، وإن كان الواجب يحتم على هؤلاء الباحثين أن يحتاطوا لكلامهم، ويعلموا أن أناساً منهم يأخذون كلامهم ويضعونه موضع الثقة، وبهذا انتهت المختارة التي لطالما طاب الحديث عنها وعن صاحب الزنج وقصته وحياته الطويلة الحافلة بكل معاني الأسف، وتلك السنين الأربعة عشرة المليئة بالأحزان والضحايا⁽¹⁰¹⁾.

تحليل تنظيمات الزنج:

أولاً- التنظيم العمراني والتحصينات:

يجد الباحث مشقة كبيرة في محاولة الحديث عن التنظيمات التي أوجدها الزنج لحكم المناطق التي دخلت في حوزتهم بتنظيم علاقاتهم الداخلية والخارجية. ومصدر الصعوبة أن المؤرخين أسهبوا فيما إسهاب في وصف الحركات العسكرية التي دارت بين الجيشين: العباسي والزنجي، وكادوا يهملون الحديث عن النواحي المدنية التي انبثقت عن ثورة الزنج⁽¹⁰²⁾.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى نظر المؤرخون المعاصرون إلى ثورة الزنج نظرة عداً وازدراء، وأظهروها على أنها حركة عصيان قام بها العبيد ضد الدولة والدين، ومن ثم لم يعمدوا إلى إيراد ما يفيد قيام أى نوع من التنظيم المدني أو الإداري أو الملكى فى الدولة الشاسعة التي حكمها الزنوج مدة أربع عشرة سنة. وثمة صعوبة أخرى أمام الباحث هي أنه لم يبق أية آثار عمرانية أو مخلفات أخرى.

إن ثورة الزنج لم تكن، كما يخيل للبعض، مجرد غارات غير منتظمة هدفها التخريب والنهب، بل إن هذا البحث الموجز كشف وجود محاولات جديّة بذلها صاحب الزنج لإقامة نظام داخلي دقيق يحكم بموجبه دولته القصيرة العمر،

ويخضع له العلاقات المدنية والعسكرية بين الزنج أنفسهم من ناحية، وبينهم وبين جيرانهم من ناحية أخرى.

لقد فتح الزنج مناطق شاسعة، شملت القسم الأدنى من العراق كله، إضافة إلى خوزستان، فدخلت تحت حكمهم البصرة والأبلة وواسط وعبادان والأهواز، بل إنهم دخلوا النعمانية، إضافة إلى سيطرتهم على المواصلات البرية والنهرية في جميع هذه الجهات، واحتلالهم منطقة البطيحة. وعلى الرغم من أن حكمهم لهذه المناطق لم يكن ثابتاً، فقد عمدوا في خلال بقائهم فيها إلى إخضاعها لسلطتهم الإدارية، وتعيين موظفين ينوبون عن صاحبهم في تصريف شئونها العامة⁽¹⁰³⁾.

لقد اتخذ الزنج لأنفسهم مركزاً للحكم يصح أن نعهده عاصمة، ما دام يضم تشكيلاتهم المركزية. ومن الجدير بالذكر أن على بن محمد غير محل إقامته وأتباعه عدة مرات. غير أنه ما لبث أن غير مركزه سنة 256هـ/869م، فتحول إلى الضفة الغربية من نهر أبي الخصيب. وعلى مر الأيام أخذ الزنج يشيدون في هذا الموضع عاصمتهم (المختارة) التي ربما سميت بهذا الاسم نسبة إلى مكانها⁽¹⁰⁴⁾ المختار من دون الأماكن الأخرى.

وأنشأ صاحب الزنج مدينة (المختارة) على ضفة نهر أبي الخصيب الغربية، وحصنها، وأحاطها بالخنادق والأسوار. وكانت أبنيتها مشيدة من سعف النخيل أو الطين، وهما المادتان اللتان مازال أهل البصرة الريفيون يستخدمونها في بناء بيوتهم. ويبدو من مجرى حوادث ثورة الزنج، ومحاولات الموفق لاحتلال هذه المدينة أن قصور صاحب الزنج ودور أتباعه الكبار من القواد والموظفين والمنشآت العامة، كانت مبنية من الآجر أو الطابوق؛ لأنها صمدت كثيراً أمام هجمات العباسيين، إلى حد أنهم بذلوا مجهودات كبيرة في سبيل هدمها، مستخدمين النار وآلات الحصار والهدم. ولم يبق ما يشير إلى موضع المختارة، على وجه الدقة، غير أنها كانت مبنية من الآجر، وكانت تقع على وجه التقريب في الزاوية بين شط العرب ورافده نهر أبي الخصيب (أو باب سليمان الحالي). ولا بد أن المدينة قد اتسعت فيما بعد فشملت جميع المنطقة الممتدة على ضفة نهر أبي الخصيب. بل إن مدينة الزنج ما لبثت أن شملت الجانب الشرقي من نهر أبي الخصيب أيضاً⁽¹⁰⁵⁾.

كانت المختارة على هيئة قلعة حربية، لتستطيع الصمود في وجه الغارات المتلاحقة التي كان يشنها العباسيون. كما أنها أحيطت بالأسوار، وبذلك امتنعت على الجيش العباسي، وظلت محاصرة أمام هجماتهم ثلاث سنوات كاملة. ومما زاد في مناعتها وقوة تحصينها أنها كانت تقع في وسط أشجار النخيل الكثيفة، وتخرقها جداول وأنهار فرعية تعيق تقدم الجيش الزاحف⁽¹⁰⁶⁾.

وكانت المختارة محاطة بخندق واسع غزير المياه، تتلوه عدة أسوار، بدليل أن الزنج حين ينسوا من أصحاب الموفق عند السور الأول انتقلوا إلى سور آخر يليه. وكانت أسوار المختارة حصينة عالية من الأحجار تعلوها المجانيق والهرارات، ويحرسها رماة الشباب والقسى. ومما يدل على ارتفاع هذه الأسوار أن العباسيين أخفقوا مرات عدة في ارتقاؤها، واستعملوا لهذا الغرض السلالم.

وكانت أسوار المختارة حصينة عالية مبنية من الأحجار تحيط بها من جميع الجهات حتى من جهتها المطلّة على شط العرب. ونستطيع أن ننتبع سيرها، فنجد أنها كانت تحيط المدينة من جهة نهر أبى الخصيب، وتمر بدار (ابن صاحب الزنج) ودار الجبائى ونهر حنكى ونهر سمعان، ثم يستمر السور حتى نهري جوى كور والغربى، وموقعهما فى أسفل نهر أبى الخصيب⁽¹⁰⁷⁾. وكان صاحب الزنج قد حفر خندقاً عريضاً بين هذين النهرين، واشتدت عنايته بتحصين هذا الجزء. ويبدو أن الخندق والسور كانا يستمران بعد نهر الغربى حتى يصلا إلى موضع الدباسين فى أسفل نهر الغربى. وكانت المختارة مدينة واسعة تحوى القصور والدور والميادين والدواوين والسجون والشوارع والسكك.

ومن المعلومات الضئيلة التى يمدنا بها الطبرى نستطيع القول إن المختارة كانت على غرار المدن الإسلامية الأخرى فى طراز بنائها وتخطيطها الهندسى. فهناك فى وسط المدينة يقع المسجد الجامع الذى اتخذ الزنج للصلاة؛ وهو مما ينفى عنهم التهم التى ألصقها بهم بعض المؤرخين، وهى تهمة الزندقة والمروق. وكان المسجد الجامع واسعاً أنيقاً حسن البناء، وقد هاجمه الموفق، فدافع عنه الزنج، غير أن العباسيين هدموه، وحملوا منبره إلى الموفق مسرورين. ولا بد أن هذا المسجد الجامع كان يجتمع فيه صاحب الزنج بأصحابه ليؤمهم فى الصلاة، وكان يلقي عليهم خطبه من فوق هذا المنبر. ويبدو أن المختارة حوت عدة مساجد، بدليل أن رجلاً من الزنج استأمن إلى الموفق 269هـ/ 882م، وأتاه معه بمنبر كان لصاحب الزنج فى الجانب الغربى. وكان المسجد الجامع يتصل عن طريق شارع بمصلى اتخذته على بن محمد فى أيام العيد، ونجد إشارات إلى وجود ميدان واسع فى المختارة، تحف به البيوت والقصور، وتشرع منه الطرق والسكك⁽¹⁰⁸⁾.

وكان قصر صاحب الزنج أضخم المباني فى المختارة وأكثرها أناقة، وقد بنى على ضفة شط العرب الغربية عند الزاوية التى يكونها مع رافده نهر الخصيب (أو نهر الأثرى)، ومازال هذا الموقع من أجمل المواقع الطبيعية فى ريف البصرة، ويعد سكان أبى الخصيب الحالية منتزهاً لهم، لما يتوافر فيه من المياه والنخيل والبساتين النضرة. وقد اعتنى الزنج ببناء قصر زعيمهم الذى اتخذ دار إمارة فى الوقت نفسه.

ومما يدل على أناقة بوابة القصر وجمالها وضخامتها، أن أحمد الموفق قلعتها حين احتل المختارة، ونقلها إلى بغداد. وكان القصر يطل على نهري شط العرب وأبى الخصيب معا، وله ميناء لرسو السفن، وهو محصن بسور عالٍ يحميه من الهجمات، تعلوه المجانيق والقلاع والعرادات، وتحرسه دوما فرقة من شجعان الزنج. وكان إلى جانب قصور صاحب الزنج قصور ودور أخرى مطلة على شط العرب، عليها الستائر. واهتم صاحب الزنج بتعمير عاصمتهم حتى شملت كما قلنا ضفتي نهر أبى الخصيب الشرقية والغربية. ولكي يربطوا بين جانبي النهر، ويسهلوا على جيوشهم الانتقال، شيدوا على هذا النهر الجسور والقناطر⁽¹⁰⁹⁾.

وقد حصن صاحب الزنج هذه القنطرة، ونصب إلى جوارها أعمدة من الساج، وصل بعضها ببعض، وغلفها بالحديد، وبنى أمامها سدا من الحجارة، ليضيق المدخل على سفن العباسيين. وقد بذل أبو أحمد الموفق جهودا كبيرة لتدمير هذه القنطرة الحصينة، واستخدم في هذه العملية النجارين والمهندسين والحراقات، لتدمير السفن التي تحارب بالنار.

ودافع الزنج دفاع المستميت عن القنطرة؛ لأن إزالتها تعنى دخول سفن العباسيين إلى النهر، وإزالة الجسرين الذين شيدهما صاحب الزنج بعد القنطرة. وحين تم للعباسيين إحراق القنطرة وإزالتها، وتوغلت سفنهم في النهر، وأخذت تعمل على تخريب هذين الجسرين، وبعد أن تم لها ذلك، بعد محاولات عدة، وإثر دفاع صادق بذله الزنج، وحين أحرق العباسيون الجسرين في سنة 269هـ/ 882م، انقطعت الصلة بين جانبي المختارة الشرقي والغربي، وضاع آخر أمل للزنج في الاحتفاظ بعاصمتهم، علاوة على القنطرة والجسرين - أنشأ على بن محمد قنطرتين على نهر، وآخرين على النهر الغربي، وربما أنشأ قناطر أخرى على غيره من أنهار المختارة⁽¹¹⁰⁾.

ثانيا- التنظيم الاقتصادي:

اهتم صاحب الزنج اهتماما كبيرا بتوفير المؤن لعاصمته وجيشه الضخم، ومن ثم شيد أسواقا كثيرة في الجانب الغربي من المختارة؛ منها السوق المباركة، وكانت واسعة عظيمة، تقع في ظهر دار الهمداني، كما نجد إشارة إلى سوق كانت تطل على دجلة، وكذلك اتخذ على بن محمد بيارد وخزانات للحبوب في معسكره؛ لكي يوفر لأتباعه القوات، خاصة أنه كان معرضا للحصار على الدوام، كذلك الزنج لم يعتمدوا على ما كان يرد إليهم من الميرة من الخارج، بل حاولوا أن يستغلوا الأراضي الزراعية المحيطة بعاصمتهم التي زرعوا فيها الغلات لهذا الغرض، فضلا عما كانت تغله تلك المناطق من التمر الذي كان غذاء شهيا، اعتمد عليه

شغلت قضية التموين صاحب الزنج إلى أقصى الحدود، منذ بداية ثورته، لذلك استمال الأعراب إلى جانبه، وسخرهم في جلب المؤن إلى معسكره، ومنعها عن المعسكر العباسي. ولما فتح البصرة، ولاها رجلا من قدماء أتباعه، يدعى أحمد بن موسى بن سعيد القلوسي، فصارت سوق الزنج يأتيها الأعراب للبيع والشراء، ويجلبون لها المير والتجارات⁽¹¹²⁾.

وأقام صاحب الزنج شخصا جديدا للإشراف على نقل التموين؛ هو أحمد بن الجندب⁽¹¹³⁾ في مؤتمر نهر أبي الخصيب، وكلفه أن يحمل سمك البطيخة إلى معسكره، لكن الموفق أقام فرقة من جيشه في جزيرة الروحية، فقطع سمك البطيخة عن الزنج، كذلك منع الأعراب من حمل المير إلى المعسكر الزنجي، وفتح لهم سوق البصرة، ليختاروا منها ما يشاءون من التمر الذي كان البضاعة الرئيسية للتبادل بينهم وبين الزنج؛ ذلك أن هذه المنطقة الغنية بالنخيل كانت وسيلة صالحة لمبادلة التمر بما يحمله الأعراب من السلع، بعدما يستهلك الزنج جزءا منه بوصفه غذاء لهم.

ويصح أن نفترض أن هؤلاء الباعة المغامرين الذين طالما عرضوا حياتهم للأخطار، كانوا يحصلون على مبلغ لا بأس به جزاء ما يحملونه من الدقيق والأغنام، وغير ذلك من الحاجيات. ويبدو أن الزنج استغلوا الأسلاب والغنائم والأموال التي وقعت في أيديهم إثر انتصاراتهم، وما كانت تدره عليهم الضرائب التي فرضوها على رعاياهم من أهل القرى في هذا السبيل⁽¹¹⁴⁾.

وحين اشتد الحصار الاقتصادي الذي ضربه أحمد الموفق على هذا النحو، سلك الزنج طريقا آخر للتموين؛ هو أن تسلك سفنهم نهر الأمير إلى نهر القندل، ثم نهر المسيحي إلى الطرق المؤدية إلى البر والبحر.

أما السمك فأخذ الزنج يجلبونه من البحر عن الطريق نفسه. لكن الموفق ما لبث أن سد هذه المسالك أيضا بقوة كبيرة، وبذلك قاسى الزنج صعوبة شديدة في تموين عاصمتهم، وزاد الأمر سوءا أن الموفق وقواده أخذوا ينكرون بالأعراب من بنى تميم وغيرهم الذين كانوا يقومون بحمل الطعام والبهائم إلى معسكرات الزنج. وما حلت سنة 268هـ/ 881م حتى بدأ هؤلاء يشعرون بالجوع، ويفتقدون الطعام الذي كان انعدامه سببا رئيسا في إخفاق ثورة الزنج⁽¹¹⁵⁾.

ثالثا- التنظيم الإداري:

حاول صاحب الزنج أن يقيم في عاصمته مؤسسات إدارية ومالية لا تشرف

على سير الحرب فحسب، بل تتولى الشؤون الحديثة داخل (الدولة) القصيرة العمر التي شكلها على بن محمد، وكان على هذا على رأس الدولة، واشتهر بلقب صاحب الزنج الذي أطلقه عليه معاصروه، وكان قائدا عاما لجيوش الزنج، يساعده على وضع الخطط وتنفيذها وقيادة الجيوش قواد آخرون من أتباعه الأول الذين ثبتوا إلى جانبه، منذ بداية الحركة، حتى لقوا مصيرهم. ولعل أجدرهم بالذكر: على بن أبان المهلبى، وأنكولاي بن صاحب الزنج، وسليمان بن جامع، وإبراهيم بن جعفر الهمدانى وغيرهم⁽¹¹⁶⁾.

وقد أسس صاحب الزنج فى المختارة دواوين مختلفة تعمل بوصفها مؤسسات إدارية، تستطيع أن تميز فيها ديوانا للرسائل، مستنتجين ذلك من وجود كتاب مختلفين كانت مهمتهم إعداد الرسائل لصاحب الزنج ولغيره من القواد الكبار، فقد كان لعلى بن محمد من كان يُعد له رسائله إلى قواده وإلى الجهات، مع العلم أن عليا كان يجيد الكتابة. ويقول الطبرى عن صاحب الزنج أنه دعا بدواة وقرطاس لينفذ كتابا إلى على بن أبان، يعلمه بما قد فعله فى الجيش وأقبل على كتابته.

ونجد اسم محمد بن سمان يتردد كثيرا فى أحداث ثورة الزنج بوصفه وزيرا لعلى بن محمد وكتابه، كذلك اتخذ المهلبى من قوات الزنج كتابا له يدعى القرنائى الذى كان يسكن فى دار أنيقة فى الجانب الشرقى من نهر أبى الخصيب، عند التقائه بشط العرب، فى حين كان ربحان المغربى صاحب أنكولاي بن صاحب الزنج، وقد تمتع بمركز طيب؛ وهو مما يدل على أهمية الحجابة فى دولة الزنج⁽¹¹⁷⁾.

هذا صاحب الزنج حذو غيره من حكام المسلمين فى التنظيم الإدارى، فعين له عمالا يتولون الولايات، ويجبون الأموال، فنجد أحمد بن مهدى الجبائى الذى وصل إلى مركز مرموق فى دولة الزنج، حتى ولاه على بن محمد أكثر أعماله، كما وضع صاحب الزنج قضاة فى مختلف البلدان التابعة له؛ منهم سعيد بن السيد العدولى قاضى قرية الحجاجية بواسط، وقاض آخر كان يعرف شئون القضاء بعبدان، فضلا عن وجود قاض فى المختارة نفسها، لعله كان يمثل قاضى القضاة. وإضافة إلى ما ذكرناه، نجد إشارات إلى بعض السجون، شيدها الزنج لعاصمتهم، واتخذوها محابس لأعدائهم وأسراهم فى حروبهم الطويلة، فهناك سجن فى غرب نهر أبى الخصيب، وآخر فى الجانب الشرقى.

يذكر المؤرخون أن الموفق وجد فيها، عند اقتحام عاصمة الزنج، كثيرا من الأسرى والسبايا. وكذلك نشير إلى دار سك النقود التى أصدرها على بن محمد فى عاصمته من ناحية، وإلى إعلان الاستقلال الفعلى عن الدولة العباسية من ناحية

أخرى، وقد حذا صاحب الزنج حذو غيره من حكام المسلمين، ونقش على نقوده آيات قرآنية، وذكر اسمه، وتلقب بلقب أمير المؤمنين. والخلاصة أن الزنج حاولوا من هذا كله إقامة دولة تتوافر فيها شروط السيادة والاستقلال عن جسم الخلافة العباسية بحسبان أن السكة شرط مقيد مؤيد للاستقلال⁽¹¹⁸⁾.

خاتمة:

يتضح مما سبق أن ثورة الزنج من أخطر الثورات على الخلافة العباسية وأن الزنج من العناصر السوداء التي كثرت في العراق في ذلك الوقت، وكانوا يُجلبون من سواحل أفريقيا الشرقية، ويستخدمهم الناس في أعمال الخدمة، واعتمد عليهم ملاك الأراضي وأصحاب الإقطاعيات. وبرغم عملهم الشاق فإنهم كانوا لا يجدون رعاية أو شفقة من ساداتهم.

وكانت أعدادهم كبيرة، حتى إن ثورتهم التي قاموا بها هددوا بها الدولة العباسية أكثر من أربعة عشر عاما (255-270هـ/ 869-883م)، وكان مسرح هذه الثورة المنطقة الممتدة بين أواسط البصرة وواسط، وانضم إليهم جماعات من العبيد هربوا من القرى والمدن المجاورة، وقد دعا إلى هذه الثورة رجل مغامر، رأى اختلال أحوال الخلافة العباسية، فأراد أن يحقق لنفسه نصيبا في هذا الجو المضطرب. وهذه الثورة كانت حربا بين الأجناس بين الأبيض والأسود. والجو المضطرب للخلافة العباسية هو الذي شجع الزنج على القيام بالثورة، كذلك كان تسلط الأتراك على الخلافة سببا في الأحداث المضطربة بالخلافة وانصراف الأتراك إلى جمع المال والحصول على الإقطاعيات الكبيرة، وعدم اهتمامهم بتنمية الثروة العامة للدولة بإصلاح المرافق وتحسين وسائل الإنتاج. ولجأ الأتراك إلى مصادرة أموال الأهالي؛ وهو مما أدى إلى العسف بالناس وتدهور الأحوال الاقتصادية.

من كل ما تقدم يتضح أن الجو كان مهيا لكل مغامر يستطيع استغلال هذه الأحوال، وكانت الفرصة متاحة لصاحب الزنج للقيام بثورته، وادعى أنه من نسل الحسين بن علي بن أبي طالب، وأنه يعلم الغيب، وبلغ به الأمر إلى حد ادعاء النبوة، وأخذ يروج لمبادئ ودعاوى الخوارج لكسبهم، ولقيت دعوته ترحيبا من أهالي هجر والبحرين والعراق، كما أقام عاما ببغداد، واتجه إلى البصرة فالتف حوله الرقيق، واتخذ من مدينة المختارة مقرا لدعوته، ودخل في حروب كثيرة قبل أن تتولى الجيوش العباسية قتاله، والذعر ينتشر في جنوب العراق بسبب أعمال الزنج وأفعالهم.

وتم توضيح موقف الموفق أخى الخليفة المعتمد الذى دعا الزنج إلى الرجوع

إلى الحق والتوبة عما قاموا به، واستنكر فعل صاحب الزنج المدعى، ثم أحسن معاملة الزنوج؛ وهو مما أدى إلى عودة كثيرين منهم، بعد أن حاربهم وانتصر عليهم.

وشملت الدراسة تعريفا بمبادئ ثورة الزنج وأهدافها وأسس الزنج العقائدية وأحوالهم الاجتماعية وظروفهم وتنظيماتهم، وحاولت الدراسة كشف غموض فترات كثيرة من حياتهم وحروبهم وأعمال زعيمهم. وبرغم هذا لا أقول إن الموضوع وصل إلى درجة الكمال، بل أعده مجرد جهد متواضع، وخطوة على الطريق. فإله أسأل أن يجعل جهدنا خالصا لوجهه الكريم.

الهوامش:

- (1) إبراهيم مذكور: المعجم الوجيز، ط2، وزارة التربية والتعليم، القاهرة، 2002م، ص40.
- (2) فاروق عمر: الخلافة العباسية في عصر الفوضى العسكرية، ط2، مطبعة المثني، القاهرة، 1977م، ص147.
- (3) عماد الدين إسماعيل أبو الفدا: المختصر في أخبار البشر، ج1، ط1، المكتبة الحسينية، مصر، 640هـ، ص46.
- (4) المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج4، ط2، دار الرجاء، القاهرة، د.ت، ص47.
- (5) عبد العزيز الدوري: دراسات في العصور العباسية المتأخرة، بغداد، 1945م، ص7.
- (6) جرجي زيدان: التمدن الإسلامي: ج4، ط3، دار الهلال، القاهرة، د.ت، ص46، ص96.
- (7) فاروق عمر: مرجع سابق، ص147.
- (8) ابن الأثير: الكامل في التاريخ (تحقيق: محمد يوسف الدقاق)، ج11، ط2، القاهرة، مطبعة دار الكتب العلمية، 1995م، ص41.
- (9) عبد العزيز الدوري: مرجع سابق، ص69.
- (10) المسعودي: مصدر سابق، ج1، ص244.
- (11) الطبري: تاريخ الرسل والملوك: ج8، ط1، مطبعة الاستقامة، مصر، 1358هـ، ص78.
- (12) المصدر السابق، ج7، ص549.
- (13) عبد العزيز الدوري: مرجع سابق، ص73.
- (14) الطبري: مصدر سابق، ج7، ص547.
- (15) البلاذري: فتوح البلدان، ط1، مطبعة مصر، 1318هـ / 1901م، ص358، والطبري: مصدر سابق، ج7، ص550، والدوري: مرجع سابق، ص76.
- (16) <http://www.balagh.com/mosoa/sirah/t7ou5uq.htm>
- (17) <http://www.reagar.com/debat/show/artasp?aid=79847>
- (18) <http://www.14masom.com/14masorn/13/mktba13/booko3/012.htm>
- (19) محمد الخضري: محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة العباسية)، ط3، مطبعة دار إحياء الكتب العربية، 1921م، ص421.
- (20) رزق الله منقريوس الصدفى: تاريخ دول الإسلام، ج1، ط1، مطبعة الهلال، الفجالة، مصر، 1907م، ص123.
- (21) جرجي زيدان: تاريخ مصر الحديث من الفتح الإسلامي إلى الآن، ج1، ط2، مطبعة الهلال، الفجالة، مصر، 1911م، ص158.
- (22) أحمد شلبي: التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ج4، ط3، مطبعة النهضة المصرية، القاهرة، 199م، ص196.
- (23) مصطفى خيرى: تحفة الأنام في التاريخ العام، ج1، ط1، مطبعة الحقوق الخديوية، 1909م، ص99.

- (24) المرجع السابق، ص 100.
- (25) السيد عزمى: ملخص تاريخ العرب والأمة العربية، ج 1، ط 8، مطبعة الأميرية، مصر، 1327هـ / 1909م، ص 40-41.
- (26) السيد أحمد إبراهيم حمود: الدولة العباسية بين أسس بنائها وأسباب فنائها، العصر العباسى الأول، ج 1، ط 1، مطبعة دار الرسالة، 1986م، ص 21.
- (27) المسعودى: مروج الذهب، ج 4، ص 208.
- (28) فاروق عمر: مرجع سابق، ص 149.
- (29) المقدسى: البدء والتاريخ، ج 2، ط 3، مطبعة الثقافة الدينية، 1400هـ، ص 125.
- (30) المسعودى: مصدر سابق، ج 2، ص 413-414، الطبرى: مصدر سابق، ج 7، ص 547.
- (31) فاروق عمر: الخلافة العباسية، ص 148.
- (32) ثورة الزنج.
- www.alrased.net , www.khayra.com
- (33) ثورة الزنج.
- www.khayra.com , www.alrased.net.
- (34) حسن الباشا: دراسات فى تاريخ الدولة العباسية، ج 1، ط 1، مطبعة دار الاتحاد العربى، القاهرة، 1975م، ص 79.
- (35) المسعودى: مصدر سابق، ج 2، ص 446.
- (36) المصدر السابق، ج 2، ص 447.
- (37) حسن أحمد محمود: العالم الإسلامى فى العصر العباسى، ج 1، ط 5، مطبعة دار الفكر العربى، القاهرة، ص 353.
- (38) صابر محمد دياب حسين: الدولة الإسلامية فى العصر العباسى، ج 1، ط 1، مطبعة عدن، القاهرة، 2001م، ص 168.
- (39) مجدى فتحى السيد: تاريخ الإسلام والمسلمين، ج 1، ط 2، دار الصحابة للتراث، طنطا، 1998م، ص 77.
- (40) حسين عبد الرحمن عليوة: تاريخ الخلافة العباسية، ط 1، مطبعة عدن، القاهرة، 1999م، ص 66.
- (41) ابن العبرى: تاريخ مختصر الدول، (تحقيق: أنطوان اليسوعى)، ج 1، ط 1، مطبعة دار الرائد اللبناني، لبنان، 1983م، ص 258.
- (42) أحمد شلبى: موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية، ج 4، ط 1، مطابع الرجوى، القاهرة، 1972م، ص 332.
- (43) يوليوس فلهوزن: تاريخ الدول العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية، ط 2، مطبعة دار الثقافة، القاهرة، 1968م، ص 305.
- (44) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج 3، ط 14، مطبعة دار الجيل، القاهرة، 1996م، ص 58.
- (45) أحمد شلبى: مرجع سابق، ص 111.

- (46) على جاسم سلمان: موسوعة أعلام الخلفاء، ج1، ط1، مطبعة دار أسامة، القاهرة، 1999م، ص58.
- (47) بسام العسيلي: فن الحرب الإسلامي في العصر العباسي، ج1، ط1، مطبعة دار الفكر، عدن، 1988م، ص100.
- (48) على جاسم سلمان: مرجع سابق، ص105.
- (49) عبد العزيز توفيق جاد: موجز تاريخ العالم، (تحقيق: محمد مأمون نجا)، ج1، ط1، مطبعة السعادة، مصر، 1958م، ص56.
- (50) رزق الله الصدفى: تاريخ دول الإسلام، ج1، ط1، مطبعة الهلال، مصر، 1907م، ص113، عبد العزيز توفيق جاويد: مرجع سابق، ص57.
- (51) جرجى زيدان: تاريخ مصر الحديث من الفتح الإسلامي إلى الآن، ج1، ط3، مطبعة الهلال، مصر، 1911م، ص105.
- (52) المرجع السابق، ج4، ص56.
- (53) السيد أحمد إبراهيم حمود: الدولة العباسية بين أسس بنائها وأسباب فئائها (العصر العباسي الأول)، ج1، ط1، مطبعة الرسالة، 1981م، ص21.
- (54) أمين إبراهيم شمبيل: الوافى فى المسألة الشرقية والحرب الأخيرة بين الروس والعثمانيين، ط1، دار الكتب الفاروقية، المنصورة، 1877م، ص121.
- (55) سليم حسن؛ الميجر سفنج: صفوة تاريخ مصر والدول العربية، ج1، ط1، مطبعة المعارف، مصر، 1928م، ص37.
- (56) على إبراهيم حسن: التاريخ الإسلامى العام، ط1، مطبعة المعارف، مصر، 1971م، ص9.
- (57) الطبرى: ج11، ص235.
- (58) على إبراهيم حسن: مرجع سابق، ص20.
- (59) الكندى: الولاة والقضاة، بيروت، 1908م، ص235.
- (60) مصطفى هلال: تحفة الأنام فى التاريخ العام، ج1، ط1، مطبعة مدرسة الحقوق الخديوية، المنصورة، 1327هـ / 1909م، ص105.
- (61) فاروق عمر: مرجع سابق، ص205.
- (62) المسعودى: مصدر سابق، ج3، ط1، دار الرجاء، دت، ص50.
- (63) جرجى زيدان: تاريخ التمدن الإسلامى، ج3، ط3، دار الهلال، القاهرة، دت، ص56.
- (64) السيد عزمى: ملخص تاريخ العرب والأمة العربية، (تحقيق: حمزة فتح الله)، ج1، ط8، مطبعة نظارة المعارف، مصر، 1327هـ / 1909م، ص40-41.
- (65) جرجى زيدان: مرجع سابق، ص100.
- (66) فاروق عمر: الخلافة العباسية: ص33، ص54.
- (67) فاروق عمر: الثورة العباسية، ط1، مطبعة الشؤون الثقافية، بغداد، 1989م، ص37.
- (68) جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردى: النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، ج3، ط1، مطبعة دار الكتب، القاهرة، 1998م، ص28، ص29.
- (69) المقدسى: البدء والتاريخ، ج3، ط1، مطبعة الثقافة العربية، القاهرة، 1985م، ص125.

- (70) أبو الفلاح عبد الحى بن العماد الحنبلى: شذرات الذهب فى أخبار من ذهب، ج1، ط1، مطبعة دار الكتب العلمية، بيروت، 799هـ، ص135.
- (71) ابن كثير: البداية والنهاية، المجلد السابع، ج12، ط1، مطبعة دار الكتب العلمية، بيروت، 1405هـ/ 1985م، ص25.
- (72) الكندى: مصدر سابق، ص237، 238.
- (73) <http://www.balagh.com/mosaa/sirah/t7ou5uqz.htm>
- (74) <http://www.rezgar.com/debat/show.art.asp2aid=7984>
- (75) المسعودى: مصدر سابق، ج4، ط2، ص57، الطبرى: مصدر سابق، ج11، ص235.
- (76) أحمد شلى: مرجع سابق، ص11.
- (77) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، ج7، ص87-88.
- (78) بكر محمد إبراهيم: موسوعة التاريخ الإسلامى (الدولة العباسية)، ط3، مطبعة مكتبة فكرى، القاهرة، 2003م، ص196.
- (79) السيوطى: تاريخ الخلفاء، (تحقيق: سعيد محمود عقيل)، ج1، ط1، مطبعة دار الجيل، بيروت، 1424هـ/ 2003م، ص341.
- (80) السيوطى: مصدر سابق، ص300.
- (81) المسعودى: مصدر سابق، ج4، ص208.
- (82) يوحنا أبكارىوس: كتاب قطف الزهور فى تاريخ الدهور، ط1، مطبعة دار الكتب الفاروقية، المنصورة، 1873م، ص111، ص115.
- (83) إبراهيم أحمد العدوى: التاريخ الإسلامى آفاقه السياسية وأبعاده الحضارية، ج6، ط2، مطبعة الشركة المتحدة، القاهرة، 1976م، ص263.
- (84) يوحنا أبكارىوس: مرجع سابق، ص114.
- (85) <http://www.balagh.com/mosaa/sirah/t7ou5uqz.htm>
- (86) <http://www.re2gar.com/debat/show.art.asp?aid=7989>
- (87) حسن إبراهيم: مرجع سابق، ج3، ص210.
- (88) ابن العبرى: تاريخ مختصر الدول، ج2، ط3، مطبعة دار الرائد اللبنانى، لبنان، 1403هـ/ 1983م، ص100، ص105.
- (89) ابن واردان: تاريخ العباسيين، ج2، ط2، مطبعة دار صادر، بيروت، 1993م، ص335.
- (90) يوحنا أبكارىوس: مرجع سابق، ص100.
- (91) حسن إبراهيم: مرجع سابق، ج3، ص211.
- (92) <http://www.rezgar.com/debat/show.art.asp?aid=7984>
- (93) <http://www.balagh.com/mosaa/sirah/t.7ou5uqz>
- (94) <http://www.rezgar.com/debat/show.art.asp?aid=7984>
- (95) <http://www.balagh.com/mosaa/sirah/t7oa5uqz>
- (96) ابن العبرى: مصدر سابق، ج2، ص200، ص205.
- (97) <http://www.rezgar.com/debat/show.art.as?paid=7984>

- (⁹⁸) ابن الأثير: مصدر سابق، ج 7، ص 72.
- (⁹⁹) <http://www.balagh.com/mosaa/sirah/t7ouq5.htm>
- (¹⁰⁰) <http://www.rezgar.com/debat/show.art.asp?aid=7941>
- (¹⁰¹) المسعودي: مصدر سابق، ج 4، ص 209.
- (¹⁰²) حسن إبراهيم: مرجع سابق، ج 3، ص 212.
- (¹⁰³) ولیم الخازن: الحضارة العباسية، ج 1، ط 2، مطبعة دكاش، بيروت، 1992م، ص 96.
- (¹⁰⁴) ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ج 1، ص 257-258.
- (¹⁰⁵) نبيلة حسن محمد: في تاريخ الدولة العباسية، ج 1، ط 3، مطبعة دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2000م، ص 199.
- (¹⁰⁶) سيد أمير علي: مختصر تاريخ العرب، ج 1، ط 2، مطبعة دار العلم للملايين، بيروت، 1967م، ص 259.
- (¹⁰⁷) الطبري: مصدر سابق، ج 11، ص 174.
- (¹⁰⁸) حسين عبد الرحيم عليوة: مرجع سابق، ص 83-84.
- (¹⁰⁹) أحمد عادل كمال: سقوط المدائن ونهاية الدولة الساسانية، ج 1، ط 3، مطبعة دار النفائس، بيروت، 1404هـ / 1984م، ص 97.
- (¹¹⁰) ابن وردان: تاريخ العباسيين، (تحقيق: المنجي الكعبي)، ج 1، ط 1، مطبعة دار صادر، بيروت، 1993م، ص 645.
- (¹¹¹) أمين بن إبراهيم شميل: الوافي في المسألة الشرقية، ج 1، ط 1، مطبعة دار الكتب الفاروقية، المنصورة، 1294هـ / 1877م، ص 121.
- (¹¹²) الميجر سفنج: صفوة تاريخ مصر والدول العربية: ج 1، ط 10، مطبعة المعارف، مصر، 1928م، ص 37.
- (¹¹³) يوحنا أبكار يوس: كتاب قطف الزهور في تاريخ الدهور، ج 1، ط 1، مطبعة دار الكتب، بيروت، 1873م، ص 115.
- (¹¹⁴) الطبري: مصدر سابق، ج 11، ص 184.
- (¹¹⁵) المصدر السابق، ج 4، ص 200.
- (¹¹⁶) المقدسي: مصدر سابق، ج 2، ص 150؛ جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: ج 3، ط 1، مطابع كوستانتشوماسي، القاهرة، ص 29، ص 30.
- (¹¹⁷) حسن إبراهيم: مرجع سابق، ج 3، ص 210.
- (¹¹⁸) <http://www.balagh.com/mosaa/sirah/t7u5uq2.htm>
- <http://www.rezgar.com/debat/show.art.asp?aid=7941>

المصادر والمراجع:

أولاً- المصادر:

1. القرآن الكريم.
2. الحديث الشريف.
3. ابن الأثير (630هـ/1238م) على بن أحمد بن أبي الكرم الملقب عز الدين: الكامل فى التاريخ، جـ السابع، ط2، مطبعة بولاق 1274، الأزهرية 1301م، (تحقيق: د. محمد يوسف الدقاق).
4. ابن العبري (ولد 1266م - ت. 1286م) غير يفوريوس أبى الفرج عبد أهرون الطيب المملطي: تاريخ مختصر الدول، تحقيق وفهرسة: الأب أنطوان صالحاتى اليسوعى، مطبعة دار الرائد اللبناني، الحازمية، لبنان، 1403هـ/1983م.
5. ابن كثير (774هـ) أبو الفداء الحافظ بن كثير الدمشقى: (البداية والنهاية)، تحقيق: د. أحمد أبو مسلم، د. على نجيب عطوى، د. فؤاد السيد، د. على عبد الساتر، د. مهدى ناصر الدين، المجلد السادس، جـ الحادى عشر، ط1، 1985م، مطبعة دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
6. ابن وردان: تاريخ العباسيين، تحقيق: د. المنجى الكعبى، مطبعة دار المغرب الإسلامى بيروت، لبنان، ط1، 1993م.
7. أبو الفدا (ت. 732هـ) الملك المؤيد عماد الدين أبو الفدا: كتاب المختصر فى أخبار البشر، ط1، مطبعة المكتبة الحسينية المصرية.
8. أبو الفلاح عبد الحى بن العماد الحنبلى (ت. 1089م): شذرات الذهب فى أخبار من ذهب، جـ الأول، مطبعة دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
9. أبو المحاسن (جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردى الأتابكى): النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، جـ الثالث، ط1، مطبعة دار الكتب، (مطابع كوستاتسوماس وشركاه)، القاهرة. د.ت.
10. البلاذرى (ت. 279هـ) أحمد بن يحيى بن جابر البغدادى: فتوح البلدان، ط1، مطبعة دار الرجاء بمصر، 1318هـ/1091م.
11. الذهبى (ت. 784هـ) شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى: (حوادث ووفيات، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير، تحقيق: أ.د. عمر عبد السلام تيجيرى، مطبعة، دار الكتب العربية، ط3، 1909م.
12. السيوطى (ت. 1911هـ) الإمام الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى، تحقيق: سعد محمود عقيل (تاريخ الخلفاء)، ط1، مطبعة دار الجيل للنشر والطباعة، بيروت، 1424هـ/2003م.
13. الطبرى (310هـ/922م) أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى: تاريخ الأمم والملوك، 8 أجزاء، مطبعة الاستقامة، القاهرة، 1358هـ.
14. الكندى: الولاة والقضاة، طبعة بيروت، 1908م.
15. المسعودى (346هـ/956م) أبو الحسن على بن الحسين بن على: مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج4، مطبعة دار الرجاء للنشر والطباعة، القاهرة 1346م.

16. المقدسى (ت. ببغداد 507هـ) أبو زيد أحمد بن سهل البلخى، وهو طاهر بن طاهر المقدسى: البدء والتاريخ، المجلد الثانى (4-6)، مطبعة الثقافة العربية، د.ت. ثانيا- المراجع:
1. د. إبراهيم أحمد العدوى: التاريخ الإسلامى آفاقه السياسية وأبعاده الحضارية، جـ السادس، ط2، مطبعة الشركة المتحدة للنشر والتوزيع، القاهرة 2002 - 2004م.
2. د. إبراهيم مذكور: مجمع اللغة العربية (المعجم الوجيز)، مطبعة المطابع الأميرية، طبعة خاصة، بوزارة التربية والتعليم، 1423هـ/ 2002م.
3. أحمد شلبى: التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية، جـ الرابع، ط3، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة دار النشر، مكتبة النهضة المصرية، 1969م.
4. أحمد شلبى: موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية (موجز تاريخ الخلافة العباسية من مطلع العصر العباسى الثانى إلى سقوطها)، جـ الرابع، ط1، مطابع الرجوى، القاهرة، عابدين 1972م.
5. أحمد عادل كمال: سقوط المدائن ونهاية الدولة الساسانية: ط1، دار النفائس - بيروت 1399هـ/ 1979م .
6. د. أمين إبراهيم شمل: الوافى فى المسألة الشرقية والحرب الأخيرة بين الروس والعثمانيين، ط1، مطبعة دار الكتب الفاروقية، (دار بلدية المنصورة)، 1294هـ/ 1877م.
7. د. بكر محمد إبراهيم: موسوعة التاريخ الإسلامى (الدولة العباسية)، ط مكتبة فكرى، القاهرة 2006م.
8. جرجى زيدان: تاريخ التمدن الإسلامى، جـ الأول، ط1، راجعها: حسين مؤنس، مطبعة دار الهلال، القاهرة، 1909م.
9. جرجى زيدان: تاريخ مصر الحديث من الفتح الإسلامى إلى الآن مع ندلكه فى تاريخ مصر القديم، جـ الأول، ط3، مطبعة الهلال بالفجالة، مصر، 1911م.
10. د. حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى، جـ الثالث، ط14، (العصر العباسى الثانى فى الشرق ومصر والمغرب والأندلس)، مطبعة دار الجبل، القاهرة 1416هـ/ 1996م.
11. د. حسن أحمد محمود، د. أحمد إبراهيم الشريف، العالم الإسلامى فى العصر العباسى، ط5، مطبعة دار الفكر العربى.
12. حسن الباشا: دراسات فى تاريخ الدولة العباسية، ط1، ص78، مطبعة دار الاتحاد العربى للطباعة، 1975م.
13. حسن عبد الرحيم عليوة: تاريخ الخلافة العباسية (132-656هـ/ 750-1258م)، ط1، مطبعة دار المعارف للطباعة والنشر بالقاهرة، 1999م.
14. رزق الله متقريبوس الصدفى: تاريخ دول الإسلام، جـ 1، ط1، مطبعة الهلال بالفجالة، مصر، 1907م.
15. السيد أحمد إبراهيم حمود: الدولة العباسية بين أسس بنائها وأسباب فئائها (العصر العباسى الأول)، (عصر القوة والنفوذ والعمل)، ط1، دار الرسالة للطباعة والنشر، القاهرة، سنة 1987م.

16. سيد أمير على (مؤلف روح الإسلام): مختصر تاريخ العرب (نقله إلى العربية: عفيف البعلبكي) ط1، مطبعة دار العلم للملايين، بيروت 1961م.
17. سيد أمير على: مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلامى، نقله إلى العربية: رياض رافيت (بحث فى نهضة المسلمين وتدهور سلطانهم وتطور المناحى الاقتصادية والاجتماعية والفكرية فى الأمة العربية من أقدم العصور حتى إغارة التتر على بغداد)، ط1، مطبعة لجنة التأليف والنشر، القاهرة 1938م.
18. السيد عزمى: ملخص تاريخ العرب والأمة العربية، صححها: الشيخ عزة فتح الله، ط8، مطبعة الأميرية، بمصر، 1327هـ/ 1909م.
19. د. صابر محمد دياب حسين: الدولة الإسلامية فى العصر العباسى الثانى، ط1، 1422هـ/ 2001م.
20. د. عبد العزيز الدورى: علم التاريخ عند العرب (دراسات فى العصور العباسية المتأخرة)، بغداد، 1945م.
21. د. عبد العزيز توفيق جاويد: موجز تاريخ العالم: مراجعة: محمد مأمون نجا، مطبعة السعادة بمصر 1958م.
22. د. عصام الدين عبد الرؤوف الفقى: دراسات فى الدولة العباسية، ط1، مطبعة دار الفكر العربى، 1424هـ/ 2004م.
23. على إبراهيم حسن: التاريخ الإسلامى العام، ط1، دار المعارف، القاهرة، 1971م.
24. د. على جاسم سلمان: موسوعة أعلام الخلفاء، ط1، مطبعة دار أسامة للنشر والطباعة والتوزيع، سنة 2003م.
25. د. فاروق عمر (توزيع وتحقيق: نجوى عباس): الخلافة العباسية (السقوط والانهايار)، ط1، مطبعة دار الشروق، 1998م.
26. د. فاروق عمر، الثورة العباسية، ط1، مطبعة دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1989م.
27. فاروق عمر فوزى: الخلافة العباسية فى عصر الفوضى العسكرية، دار الشروق، 1998م.
28. مجدى فتحى السيد: تاريخ الإسلام والمسلمين "أزهى عصور الخلافة العباسية"، مطبعة دار الصحابة للتراث بطنطا، ط1، 1998م.
29. محمد الخضرى بك: محاضرات فى تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة العباسية)، راجعه: نجوى عباس، ط1، مطبعة مؤسسة المختار الأولى، 1424هـ/ 2003م.
30. د. مصطفى الهلال: تحفة الأنام فى التاريخ العام، ج1، ط1، دار الكتب الفاروقية بالمنصورة للنشر والطباعة، 1327هـ/ 1909م.
31. الميجر سفنج، سليم حسن أفندى، الشيخ أحمد الإسكندرى، عمر الإسكندرى أفندى: صفوة تاريخ مصر والدول العربية، ج1، ط1، مطبعة المعارف 1971م.
32. نبيلة حسن محمد: فى تاريخ الدولة العباسية: ط1، دار المعرفة الجامعية 2000م.
33. وليم الخازن: الحضارة العباسية: ط2، مطبعة دكاش 1992.
34. يوحنا أيكاريوس: كتاب قطف الزهور فى تاريخ الدهور، ط1، مطبعة دار الكتب، بيروت 1873م.

35. يوليوس فلهوزن (نقله عن الألمانية وعلق عليه: د. محمد عبد الوهادى أبورية، راجع الترجمة: حسين مؤنس): تاريخ الدول العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية. ط3، مطبعة إدارة الثقافة العامة بوزارة التربية والتعليم، القاهرة، 1968م.
ثالثا - مواقع الإنترنت:

<http://www.14masom.com>

<http://www.balagh.com>

<http://www.rezgar.com>

